

ديسمبر 2015

410

الإياب



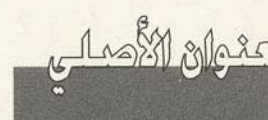
5.2.2016

ديوان شعر

تأليف: هاينريش هاينه

ترجمة وتقديم: أ. د. أسامة أبو طالب

الإيــاب
هاينريش هاينه



Heinrich Heine

Heimkehr Die

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2015م

إبداعات عالمية - العدد 410

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

الإيــاب

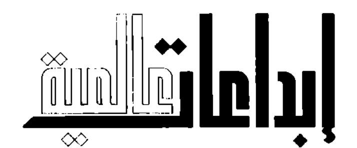


الإيــاب

ديوان شعر

تــألــيــف: هاينْرِيش هايْنِهْ

ترجمة وتقديم: أ. د. أسامة أبوطالب



تصدر كل شهرين عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.nccal.gov.kw

ebdaat_alamia@nccal.gov.kw

ebdaat_alamia@yahoo.com

ISBN: 978-99906-0-471-9

رقم الإيداع: 2015/1054

عن الشاعر والعصر

أ. د. أسامة إبراهيم أبو طالب[1]

1 - كلمة أولى...

(أيها المترجم.. أيها الخائن.. الشعر أكثر الفنون عنادا في محليته) حقا وبالفعل؛ وعلى رغم ذلك فالشعر العظيم يغوي على الترجمة ويغري بها؛ ولم ينج من إغرائه ولا من غوايته أحد ممن يعرفونه في لغة أخرى ويعشقونه في لغتهم الأصلية وأظنني واحدا منهم تملكني عشق الشاعر الألماني الكبير هاينْرِيش هاينه (1797 - 1856) وسيطرت علي رغبة في نقله إلى العربية رغم كونها ترجمة مضنية، لأسباب ثلاثة: أولها هو قيمته الفنية الضخمة، والثاني هو ثراء حياته وصدق تجاربها وتوحده مع ذاته دون كذب أو تظاهر أو افتعال، أما السبب الثالث فهو انتمائي لحضارة عريقة إسلامية عريقة ومتسامحة. حضارة أقامت مجدها على كونها حاضنة لحضارات ولغات وأجناس وأعراق صهرتهم جميعا وفاعلتهم داخل بوتقة أصيلة من التسامح والعقلانية والمساواة والفهم حين تجلت في أزهى وأرقى عصورها ففتحت الباب واسعا على حضارة العالم الحديث وإنجازاته مهما دحض ذلك الكارهون وأنكره المتعصبون.

وقد كان هاينْرِيش هاينه الألماني - المسيحي واليهودي من قبل - ومنذ صباه أحد المعجبين المنبهرين بهذه الحضارة خاصة

---

(1) أستاذ دكتور في النقد من جمهورية مصر - قسم النقد والأدب المسرحي - المعهد العالي للفنون المسرحية.

فـــي تجليهـــا بالأندلس - مثلمـــا كان أحـــد الموجوعين الحزانى المخذولين لســـقوطها.. وقد قاده هذا العشق وألهمه كثيرا حتى أنه كتب مســـرحيته «المنصور» في ســـن الثانية والعشرين، مثلما تجلى كبار المفكرين والشـــعراء والفلاســـفة العرب والمســـلمين بأعمالهم وســـيرهم، كالفارابي والمعرّي وابن زيدون وابن رشـــد وحافظ والفردوســـي وابن خلدون، ومـــن الأدب ألف ليلة وليلة، مؤثرين فيه تأثير اليونانيات.

وكما أثر معاصروه جوته وماركس؛ وأثرت الحياة الفرنســـية والذوق الفرنســـي في أعماله متفاعلة مـــع روح ألمانيا وعقليتها؛ فكان نموذجـــا لمعادلة العبقرية التي صاغهـــا الناقد الإنجليزي الكبير ماثيو آرنولد (1822 - 1888) (Matthew Arnold)؛ والتي لا تتأتي إلا حين تشـــعر أمة بأهمية شـــخصيتها القومية وتسعى للنهوض الفعلي وعيا بها.

ومن أجـــل ذلك وضع آرنولد عبقريـــة هاينه في صف واحد مع عبقرية ســـوفوكليس، شـــاعر العصر اليونانـــي، وكذلك مع عبقرية شكســـبير في تجليات عصـــره الإليزابيثي، ومع عبقرية دستيوفسكي في بعث وإحياء روسيا؛ ليكون تجليا لعبقرية ألمانيا في عصر جوته وفاجنر وماركس ونيتشه.

ولكي تتضح الرؤية أكثر فأكثر بشـــأن أدب هاينه، فقد بادرت أيضـــا بترجمة فصل من كتاب ماثيـــو آرنولد وعنوانه «هاينه» - مترجمـــا عن الإنجليزية - والـــذي يعتبر واحدا من أهم وأفضل الدراسات التي كتبت عن شاعرنا الألماني.

وقبل أن أشـــرع في تقديم هاينه وشعره، أود أن أختتم بإزجاء الشـــكر للقائمين على المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

لترحيبهم بهذا العمل استكمالا لدور الكويت ومجلسها الثقافي، في بناء العقل العربي وصيانته وتنويره، مثلما أشكر الأساتذة في لجنة سلسلة إبداعات عالمية والإخوة المسؤولين عنها على ترحيبهم به وسرعتهم في إصداره والله ولي التوفيق.

2 - سيرة حياة...

كريستيان يوهان هاينْرِيش هاينه 13 ديسمبر 1797 - 17 فبراير 1856، هو شاعر ألمانيا الكبير، بل أكبر الشعراء بالفعل بعد جوته، كان صحافيا وكاتبا وناقدا أدبيا ألمانيا، وقد ذاعت شهرته خارج ألمانيا بسبب شعره الغنائي المبكر الذي تحول إلى أغنيات تتردد دائما بألحان مؤلفين موسيقيين مثل الموسيقار الألماني والناقد الموسيقي المعروف روبرت شومان Robert Schumann والموسيقار النمساوي الذائع الصيت فرانز شوبرت Franz Schubert.

وقد تميز شعر هاينه ونثره بالفكاهة والسخرية اللاذعة والهجاء، وهو يُعد أيضا جزءا من حركة الشباب الألماني حيث أدّت آراؤه السياسية المتطرفة إلى منع كثير من أعماله من جانب السلطات الألمانية، لدرجة أنه قَضى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته في باريس.

وُلد هاينه في مدينة دوسلدورف الألمانية بمقاطعة Rhin - land لأسرة يهودية، وقد سُمي «هاري» في طفولته، لكن الاسم أصبح هاينْرِيش بعد تَحولهُ إلى المسيحية في العام 1825. وقد كان والد هاينْرِيش هاينه، ويدعى سامسون هاينه (1764 - 1828) تاجر نسيج، فيما كانت أمه بيرا، المعروفة باسم بيتي

(1771 - 1859) ربــة منزل، وهـــي ابنة طبيب، وكان هاينْرِيش أكبر الأبناء الأربعة للإخوة: شارلوت وجوستاف الذي صار فيما بعــد «البارون هاينه جيلدرين»؛ صاحــب جريدة - Das Fre denblatt التي تَصدر في فينا، وكذلك ماكســمليان وكان طبيبا في بطرسبرج. كما كان هاينْرِيش هاينه قريبا من الدرجة الثالثة للفيلســوف وعالم الاقتصاد الألماني الشهير كارل ماركس، الذي وُلد أيضا في أســرة يهودية في Rhineland، ويذكر أن هاينه كان يرُاسله في أواخر أيام حياته.

كانت دوسلدورف آنذاك مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو ســتة عشــر ألف نســمة، وذلك في زمان قيام الثورة في فرنسا المجــاورة وتأســيس الجمهورية الأولى فيهــا، فضلا عن حروب نابليون التي ارتبطت بألمانيا؛ وهو ما يعني أن دوســلدورف، كان لها تاريخ سياسي معقُد في عصر هاينه، وفترة طفولته؛ إذ كانت دوســلدورف عاصمة دوقيــة Jülich - Berg الألمانية، وكانت أيضا تحت الاحتلال الفرنســي عندما وُلد شاعرنا، الذي انتقل إلى أمير بافاريا قبل التخلي عنها لنابليون في عام 1806.

وفي ســنوات تكوين هاينه، كان نابليون، قد حول دوسلدورف إلى دوقية برج الكبرى، وهي إحدى الولايات الثلاث التي أسسها فــي ألمانيا، وقد حكمهــا أولا يواكيم مورات ثــم حكمها نابليون نفســه، وفي العام 1815، أي بعدما سقط نابليون، فقد صارت دوســلدورف جزءا من بروســيا، وبذلك يكــون هاينه قد قضَى ســنوات التكوين تحت النفوذ الفرنسي، وبالتالي كان من الممكن أن يميل في ســنوات النضج إلى تناول الفرنســيين، بسبب مواد قانون نابليون وإجراء المحاكمــات من خلال قضاته، معلقا على

الصور السلبية للحُكم الفرنسي في فرض الضرائب الباهظة والسخرة والإحباط الاقتصادي الناتج عن الحضارة في القارة الأوروبية، وهي ذاتها الأسباب التي أسهمت في إفلاس والده.

وجدير بالذكر أن هاينه أُعجب من جانب في نابليون، باعتبار أنه المُلهم لمثاليات الجمهورية، مثل الحرية والمساواة، لكنه اشمأز من المناخ السياسي في ألمانيا بعد هزيمة نابليون، إذ تميزت ألمانيا آنذاك بسياسات المستشار الألماني متيرنيخ، الذي حاول الالتفاف على مؤثرات الثورة الفرنسية.

ومع أن والدي هاينه لم يكونا يهوديين ورعين، فقد أرسَلاه وهو صغير إلى مدرسة يهودية لم يتعلم فيها سوى النزر اليسير من اللغة العبرية، ثم انتظم بعد ذلك في المدارس الكاثوليكية، وتعلم هناك اللغة الفرنسية التي ربما كانت هي لغته الثانية، على رغم أنه كان يتكلمها بلكنة ألمانية، وقد اكتسب هاينه طوال حياته حبًا جارفا للفولكلور في راينلاند حيث الأرض التاريخية المسماة ألمانيا اليوم، والواقعة على طول نهر الرين.

في العام 1814، التحق هاينه بمدرسة تجارية في دوسلدورف، حيث تعلم اللغة الإنجليزية التي كانت اللغة التجارية آنذاك، وقد كان عمه سولومون، أنجح أفراد العائلة تجاريا، إذ كان مليونيرا يعمل في مجال البنوك في هامبورج، وفي العام 1816 انتقل هاينه إلى مدينة هامبورج الألمانية، لكي يعمل في شركة Heckscher، وهو البنك الذي يملكه عمه سولومون، لكنه لم يُظهر ميلا كبيرا للمعاملات المالية؛ فكره هامبورج بأخلاقياتها التجارية، على رغم أنها ظلت أحد محاور حياته مع باريس.

وعندما بلغ هاينه الثامنة عشرة من عمره، شعر بحب جارف تجاه ابنة عمه أماليا، لكن تبقى هذه الفترة من حياته غامضة إلى حد كبير باستثناء أعمال أبيه التي تدهورت وكانت نتيجتها أن أصبح عمه سولومون وصيا على شقيقه، هاينه الأب.

عندما لاحظ سولومون أن ابن أخيه لا يملك مواهب في الأعمال التجارية، قرر أن يلحقه بدراسة القانون العام، ومن ثم فإنه فلم يأت العام 1819، إلا وقد دخل هاينه جامعة بون Bonn الألمانية، التي كانت في مدينة برونيا آنذاك، حيث كانت الحياة السياسية منقسمة بين المحافظين والليبراليين، وقد أراد المحافظون الذين كانوا في السلطة إبقاء الأمور على ما كانت عليه قبل الثورة الفرنسية؛ إذ كانوا ضد توحيد ألمانيا، لخوفهم من أن ألمانيا الموحدة، يمكن أن تقع ضحية للأفكار الثورية، فأغلب الولايات الألمانية كانت تضُم المؤيدين للملكية مع صحافة تحت الرقابة.

أما خصوم المحافظين، وهم الليبراليون، فقد أرادوا استبدال الحُكم الاستبدادي بحكومة برلمانية دستورية تحقق المساواة أمام القانون، وتضمن حرية الصحافة حيث كان الطلاب الليبراليون في حرب دائمة مع السُلطات المحافظة. وبالنسبة إلى هاينه، فقد كان ليبراليا متطرفا ولذا كان أول الأشياء التي فعلها بعد وصوله هو المشاركة في مظاهرة ضد قرارات كارلسباد Carlsbad، وهي سلسلة من المعايير التي قدمها الوزير في الإمبراطورية النمساوية، والسياسي المهم في عصره، الأمير كليمنز ميترينخ Prince Klemens Metternich، لقمع نشاط الحركات الليبرالية.

ولمـــا كان «هاينه» أكثر شـــغفا بدراســـة التاريخ والأدب عن القانـــون، فعندمـــا اجتذبت الجامعـــة الناقد الأدبـــي والمفكر الألماني الشـــهير أوجست فيلهلم شـــليجيل (1767 - 1845) (Wilhelm Schlegel)، للعمل كمحاضر في قاعاتها، أستمع هاينه إليه، وتحاور معه عن الغناء في الأســـاطير والرومانتيكية، وعلى رغم أنه قد سَـــخر منه فيما بعـــد، إلا أن هاينه وجد فيه الناقد المتعاطف مع قصائده المبكرة.

بدأ هاينه يكتسب شهرة كشاعر في بون، فكتب مسرحيتين تراجيديتـــين هما المنصـــور Almansor، ووليـــام راتكليف William Ratcliff، لكنهما لم تحققا نجاحا مســـرحيا لائقا، وبعد ســـنة واحدة، ترك هاينه بون، لمواصلة دراسته للقانون في جامعـــة جوتنجن Göttingen وقد كره هاينـــه تلك المدينة، إذ كانت جزءا من هانوفر التي حكمها ملك إنجلترا، وهي السُـــلطة التي وجه إليها هاينه اللوم لأنها أسقطت نابليون.

تصرف هاينه هنا كشاعر، بنوع من العجرفة الأرستقراطية التي لم تكن موجودة في مكان آخر، وكره القانون، لأن مدرســـة القانون التاريخـــي التي اضطر أن يدرســـها اعتـــادت أن تدعم الحكومة الرجعية التي كان يُعارضها، وتضافرت عدة أحداث، جعلت هاينه يشـــمئز من هذه الفترة في حياته، حيـــث طرد من جمعية الإخاء الطلابية لأسباب معادية للســـامية، ثم علم أن حبيبته أماليا، قد تمـــت خطبتها لشـــاب آخر، وفي هذه الفترة تحـــدى هاينه طالبا آخر، ويدعى فيبل للمبارزة، وهو أول الأحداث العشـــرة المشهورة في حياته، فقد ضلت الســـلطات وفُصـــل هاينه من الجامعة لمدة ستة شهور، وهنا قرر عمُه أن يرسلهُ إلى جامعة برلين.

وصل هاينه إلى برلين في مارس من العام 1821، وكانت أكبر مدينة عالمية زارها في حياته، حيث يربو عدد سكانها وقتذاك، على نحو مائتي ألف نسمة، وقدمت الجامعة لـ هاينه مزيدا من النماذج الثقافية البارزة كمحاضرين، الذين نذكر منهم الألسني الألماني فرانز بوب Franz bopp للغة السنسكريتية، والناقد الألماني فريدريخ أوغست وولف Friedrich August Wolf، لدراسة شعر هوميروس، علما بأن الأخير، يعد صاحب الفضل في إلهام هاينه حب أرستوفانيس.

ولعل أهم هذه النماذج التي نمذج هاينه عليها آنذاك، كانت للفيلسوف الألماني فريدريك هيجل (1770 - 1831) (Friedrich Hegel)، الذي يصعب تقدير مدى تأثيره على هاينه، ويعتقد أنه منح هاينه وتلاميذ آخرين من الشبان الألمان، فكرة أن التاريخ له معنى يمُكن رؤيته كمنظور تقدمي Progressive.

كون هاينه مجموعة واسعة من المعارف والأصدقاء في برلين، وكان من أبرزهم السياسي الليبرالي ومؤلف السير الذاتية كارل أوجست فارنهاجن Karl August Varnhagen وزوجته رحيل Rahel، اللذان كانا يقيمان صالونا أدبيا بارزا، فضلا عن صداقته الأخرى للشاعر والمؤلف الروائي الساخر كارل إيمرمان Karl Immermann، الذي امتدح هاينه ذاته ديوانه الأول أحلام Gedichte، وذلك عندما ظهر الديوان مطبوعا في ديسمبر من العام 1821.

وخلال فترة إقامته في برلين، شارك هاينه في الجمعية اليهودية للثقافة والعلوم، وهي جمعية حاولت تحقيق توازن بين الإيمان اليهودي والحداثة. ولأن هاينه لم يكن ذا نظرة متدينة،

فســرعان ما فقد اهتمامه، لكنه بدأ يبحث في التاريخ اليهودي وقد انجذب بوجه خاص إلى اليهود الإسبان في العصر الوسيط، وفي عام 1824 بدأ في كتابة رواية تاريخية بعنوان هذا الحاخام من باخيراخ Der Rabbi Von Bacherach، والتي لم ينجح في إتمامها أبدا، وفي مايو مــن العام 1823 ترك هاينه برلين، والتحق بأسرته في لونبرج Lunberg، وهنا بدأ يكتب القصائد لحلقــة Die Heimkehr الإياب، وعاد إلــى جامعة جوتنجن حيث قرر دراســة القانون ثانية، وفي سبتمبر 1824، قرر هاينه أن يأخذ راحة وسافر في رحلة في جبال هارز، وعند عودته بدأ يكتُب تفسيرا لها بعنوان Die Harzereise.

في الثامن والعشــرين من يونيو عام 1825 تحول هاينه إلي الديانة البروتســتانتية، وكانت حكومة بروسيا تحافظ تدريجيا علــى التمييز ضد اليهــود؛ إذ في عام 1822 أصــدرت قانونا يستبعد اليهود من الوظائف الأكاديمية، ولما كان لدى هاينه طموح فــي المجال الأكاديمي، فقد قيل في تبرير ذاتي: «إن التحول إلى البروتســتانتية كان تذكرة القبول في الثقافة الأوروبية»، وتعليقا علــى هذا لم يقدم تحوله إلى البروتســتانتية - والذي جاء على استحياء - أي فوائد في مسيرته كشاعر.

اضطــر هاينه أن يبحــث عن وظيفة وهو الــذي كان مؤهلا فقــط للكتابــة فقط، ولكنــه كان مــن الصعب أن يكــون كاتبا محترفا في ألمانيا حيث سوق الأعمال الأدبية كان صغيرا وقتها، ولم يكن يســتطيع أن يحقق أي دخل إلا بالكتابة من دون توقف، ولم يســتطيع فعل ذلك؛ لأنــه لم يكن يملك مــا يكفي من المال لتغطية نفقاته.

لكن هاينه قبل أن يحصل على الوظيفة زار منتجعا في بحر الشمال في نورماندي، مما ألهمه بقصائد الشعر الحر لمجموعة Die Nordsee، وذات يوم، وتحديدا في العام 1826، قابل هاينه ناشر أعماله الرئيسي يوليوس كامب أثناء رحلة في هامبورج، وقد قُورنت علاقتهما العاصفة بالزواج إذ كان كامب ليبراليا ينشر لكثير من المؤلفين المختلفين معه في الرأي لأقصى درجة، كما أنه استحدث أساليب مختلفة لتجنب السلطات إذ كانت القوانين في ذلك الوقت تحتم خضوع أي كتاب يضم أقل من 320 صفحة للرقابة، ذلك لأن السلطات كانت تعتقد أن الكتُب الطويلة لا تسبب الكثير من المتاعب لأنها غير جماهيرية.

وقد كانت الطريقة الوحيدة للالتفاف على الرقابة بالنسبة لهاينه وناشره، تتمثل في إصدار الأعمال المخالفة لها في طبعات كبيرة، لزيادة عدد الصفحات لأكثر من 320 صفحة، وقد كانت الرقابة رخوة في هامبورج ولكن كامب كان قلقا فيما يتعلق ببروسيا أكبر الولايات الألمانية، والتي يوجد بها سوق للكُتب، ويقدر أن ثلث القراء في ألمانيا هم من بروسيا.

وبشكل مبدئي فإن الكتاب الذي يجتاز الرقابة في ولاية ألمانية يُمكن أن يُباع في أي من الولايات الأخرى، غير أنه في العام 1834، حدث أن سدت هذه الثغرة وكان كامب يرفض نشر الكتُب من دون رقابة لأن له خبرات سيئة مع المطبوعات المصادرة، لكن هاينه كان مقاوما لكل أنواع الرقابة؛ ولذلك صار هذا الأمر محل نزاع بين الرجلين، على رغم أن العلاقة بين الكاتب والناشر ظلت معقولة، إذ نشر كامب الجزء الأول من ديوان صور السفر Die Rise Bilder في مايو من العام 1826، وقد تضمن هذا

الجــزء قصيــدة Die Harzreise، والتي نبهت إلى أســلوب جديد في كتابــة أدب الرحلات بمزجها الوصــف الرومانتيكي للطبيعة بالســخرية، وتلاه ديوان كتــاب الأغنيات Buch Der Lieder في العام 1827، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد السابق نشــرها فعلا. ولم يتوقع أحد أن يكون هذا الكتاب أكثر الكتُب شــعبية في الشــعر الألماني، إذ تحركت المبيعات ببطء ثم زادت بشــدة عندما بدأ الموسيقيون في تلحين قصائده، إذ وضع شومان Schumann الموســيقي لقصيدة كل ليلة في أحلامي Allnächtlich im Traume وهي من ديوان الأغنيات، علاوة على ذلــك فيليكس مندلســون Felix Mendelssohn، وهي تحتوي على فكرة التحــرر من الوهم والتي كانت فكرة نموذجية عند «هاينه»، ونذكر منها المقطع التالي للأهمية:

ليليا أراك تتحدثين في أحلامي

وأراك تلقين التحية في ود

ألقي بنفسي، باكيا معولا

عند قدميك الجميلتين

فتنظرين إلي في لوعة

وتهزين خُصلات شعرك الذهبي

فأختلس من عينيك الدموع

المتدفقة كحبات اللؤلؤ

تهمسين لأذني بكلمة

تمنحينني إكليلا من أغصان السرو كرمز

أستيقظ وتروح الباقة

وأنسى الكلمة التي تلفظت بها.

أبعد هاينه ابتداء من العام 1820 نفسه، عن النزعة الرومانتيكية بإضافة السخرية والتهكم والهجاء إلى شعره؛ إذ كان يهزأ من الورع الرومانتيكي العاطفي تجاه الطبيعة، والمجازات في الشعر والأدب المعاصر، ومثال ذلك هو الأبيات التالية:

على البحر تجلس الآنسة

تتنهد طويلا بقلق

فلقد فتنتها الشمس بعمق

آنستي كوني مبتهجة

فهذه مسرحية قديمة

تدور أمامك

وتعود من الخلف.

صار هاينه ناقدا بشكل متزايد للاستبداد والشوفينية والرجعية، وللنبلاء ورجال الدين وضيقي الأفق من الناس العاديين، ومن الغُلو في النزعة القومية الألمانية، وخصوصا بالمقارنة إلى الفرنسيين والثورة، ومع ذلك جعل حب أرض الأجداد بؤرة تركيزه، فقال: «ازرع الراية السوداء، والحمراء والذهبية على رأس الفكرة الألمانية، اجعلها معيار حرية الإنسان سوف أذرف دماء قلبي من أجلها، فاسترح آمنا فإني أحُب أرض الأجداد أكثر منك».

وحدث أن ذهب هاينه إلى إنجلترا، كي يتفادى ما تنبأ أن يكون جدالا حول نشر أعماله، وفي لندن حصل على شيك بقيمة مائتي جنيه إسترليني (ما يعادل 15464 جنيه إسترليني اليوم) ولم يتأثر هاينه بالإنجليز إذ وجدهم تُجارا وواقعيين، وما انفك يلقي اللوم عليهم لهزيمة نابليون، وعند عودته إلى ألمانيا، منحه

كوتاي، ناشـــر أعمال جوته وشـــيللر، وظيفة محرر مشارك في مجلـــة Potische Annalen في ميونخ، بعد أن لم يجد عملا في جريدة ملائمة لطبيعته.

حاول هاينه بدلا مما ســبق، أن يحصل على درجة الأستاذية من جامعة ميونخ دون أن ينجح في ذلك، وبعد بضعة شهور ذهب في رحلة إلى شـــمال إيطاليا ليزور لوكا وفلورنسا وفينسيا، لكنه أُجبر علـــى العودة عندما تلقى أخبـــارا أن والده قد توفي؛ وقد أدت هـــذه الرحلة الإيطالية إلى سلســـلة مـــن الأعمال الجديدة مثـــل رحلة مـــن ميونخ إلى جنوه، وحمامات لـــوكا، ومدينة لوكا. علما بأن ديوان حمامات لوكاDie Baeder von Lucca ، كان قد ورطه في نزاعات؛ إذ غضب الشاعر الأرستقراطي أوجست ڤونبلاتـــن August von Platen من بعض قصائد الشـــاعر هاينه القصيرة الســـاخرة، فرد عليها بهجوم مضاد في مسرحية بعنوان أُوديب الرومانتيكي Der Romantische Oedipus، والتي تضمنت بعض التلفيقات المضادة للســـامية عن هاينه، فرد عليه بالسخرية من شذوذه الجنسي في ديوان حمامات لوكا.

في العام 1831، ترك هاينه ألمانيا قاصدا فرنســـا ليُقيم في باريس طوال الخمس والعشـــرين ســـنة الباقية من حياته، وكان انتقالـــه مدفوعـــا بثورة يوليـــو1830، التي حصلـــت من لويس فيليب الملك المُختار لفرنســـا، وشارك هاينه في النزعة التحررية الحماســـية للثورة، والتي شـــعر بأنها تحمل القوة الكامنة لتغيير النظام السياســـي المحافظ في أوروبا. وانجذب هاينه أيضا إلى صورة الحرية من الرقابة الألمانية، وكان مهتما بالمبادئ السياسية الفرنســـية الجديدة المنْســـوبة إلى أتباع سان ســـيمون، إذ بشر

المنسوبون إلى سان سـيمون بنظام اجتماعي جديد سيتولد فيه أصحاب الجدارة السـلطة بدلا من التمييز الوراثي على أساس الرتبـة والثروة، ويمكن أن يكون هناك تحرير للمرأة، علاوة على دور مهم للفنانين والعلماء.

تـردد هاينه علـى اجتماعات أصحاب النزعة المنسـوبة إلى سان سيمون، بعد وصوله إلى باريس، لكن تضاءل حماسه خلال بضعة أعوام للأيديولوجية وأشـكال النزعـة اليوتوبية الأخرى، وسرعان ما أصبح هاينه مشـهورا في فرنسا، إذ منحته باريس الثراء الثقافي غير المتاح في مدن ألمانيا الصغيرة.

كان هاينه قد كون العديد من المعارف والأصدقاء، ومن أكثرهم قربا كان الشـاعر الفرنسـي جيـرار دي نيرفـال Gerard de Nerval، والمؤلف الموسيقي هيكتور بيرليوز Hector Berlioz، ولكنه ظل لا منتميا ولم يهتم إلا قليلا بالأدب الفرنسي، كاتبا كل أعماله باللغة الألمانية، ثم مخضعا إياها للترجمة إلى الفرنسـية بشكل متتابع بمساعدة مشاركين آخرين.

كسـب هاينه في باريس المال، من العمل كمراسـل فرنسـي لجريـدة Allgemeine Zeitung، حيث كان أول حدث اهتم بتغطيته لهذه الجريدة هو صالون 1831 أو Salon de 1831، وفي النهاية جمُعت مقالاته في كتاب بعنوان أحوال في فرنسـا، ورأى هاينه نفسه كوسيط بين ألمانيا وفرنسا، أن البلدين لو فهم كل منهما الأخر فسوف يتحقق - بحسبه - التقدم.

نشـر هاينه في سـبيل تحقيق هذا الهـدف، كتابا عن ألمانيا باللغة الفرنسـية، بداية من 1833، وفي طبعة ألمانية متأخرة تم تقسـيم الكتاب إلى جزأين هما «حول تاريخ العقيدة.. الفلسفة

في ألمانيا» و«المدرســة الرومانتيكية»، وقد هاجم هاينه بشــكل متُعمد كتاب مدام دوستال Madame de Stael، الذي يحمل عنــوان «من ألمانيــا» 1813، إذ رأى أنه كتــاب رجعي وغامض، وأن مدام دوســتال صورت ألمانيا وفق شــعراء الثورية في العالم الحديث، وقد اعتقد هاينه أن مثل هذه الصورة تليق بالســلطات الألمانية القمعية.

كان لهاينه رؤية تنويرية للماضي، إذ يرى أن الماضي غارق في الوحشــية والخرافات، وكان يتناول الدين والفلســفة في ألمانيا، في معرض وصفه لاســتبدال العقيدة الروحانية، بوحدة الوجود التي تهتم بالحاجات المادية للإنسانية، وطبقا لـ هاينه، فقد كانت وحدة الوجود مكبوتة بالمسيحية على رغم أنها حية في الفولكلور الألمانــي، حيث أعلــن أن «الفكر الألماني يُمكــن أن يؤكد أنه قوة متفجرة أكبر من الثورة الفرنسية».

أما عن العلاقــات الغرامية في حياته فقد عاش هاينه بضع علاقات غرامية جادة، لكنه في أواخر عام 1834 أقام علاقة مع بائعة من باريس عمرها 19 سنة تُدعى كريسنسي أوجيني ميرات، وأطلق عليها اســم ماتيلدا، وبدأ معها هاينه علاقة غرامية على اســتحياء، إذ كانت أمية لا تحســن القراءة ولا الكتابة؛ وبالطبع لــم تكن مُهتمــة بالثقافة ومســائل الفكر كما أنهــا تجهل اللغة الألمانية، وعلى رغم كل ذلك، فقد عاشَت مع هاينه طوال حياته، حتى تزوجها في العام 1841.

صار هاينه ومواطنه المغُترب المتطرف المنشق الكاتب الألماني لودفيــج بــورن (1786 - 1837) (Karl Ludwig Börne) نموذجــين للجيــل الأصغر مــن الكتُــاب الذين يُســمون ألمانيا

الشــابة، ويضمون بينهم كارل جوتســكوف Karl Gutzkow، وهينرش لــوب Henrich Loop وآخرين من الليبراليين غير الناشطين سياسيا. ظل كتاب ألمانيا الشابة يُعارضون السلطات؛ ففي عام 1833 نشــر جوتســكوف رواية بعنوان فاللي الشكاك die Zweifelerin Wally die والتــي تضمنت نقدا لتقاليد الزواج وبعض المقاطع المثيرة للغرائز.

وفــي نوفمبر مــن العام نفســه، مَنع النظــام الألماني أعمال الألمان الشــبان في ألمانيا، وأضيف اسم هاينه إلى القائمة، وعلى رغم ذلك اســتمر شــاعرنا يعلق على السياسة والمجتمع الألماني من بعيد، واســتطاع ناشــرُه أن يجد بعض السُبل للالتفاف على الرقباء، إذ كان حرا بالطبع أن ينشــر في فرنســا. كانت علاقة هاينــه بمواطنه المنشــق بــورن مضطربة، لأن الثانــي لم يُهاجم الموروث الديني المسيحي والمبادئ التقليدية على غرار هاينه، ولم تُطارده السلطات كثيرا، على رغم أنهم كانوا يمنعون كُتبه بمجرد أن تظهر. وقد كان بورن محبوبا بقوة لدى العُمال الألمان المهاجرين فــي باريس، علاوة على أنــه كان مؤيدا للجمهورية، بينما لم يكن هاينه كذلــك، وقد احترم هاينه بورن لإعجابه بـ روبســبير لأنه مُتطهــر ينتمي إلى النزعة اليعقوبيــة، ولكنه ظل بمعزل عنه في باريس، وهو الأمر الذي أحزن بورن الذي انتقده بشــدة، وبشكل شــخصي غالبا. توفي بورن في فبراير من العام 1837، وعندما سمع هاينه أن جوتسكوف يكتُب سيرة حياة بورن بدأ هاينه أيضا يعمل على سيرة حياة الرجل، ولكن من زاوية نقدية.

نُشرت سيرة بورن بقلم هاينه في العام 1840، لكن الكتاب لم يلق استحســانا من المتطرفين عموما في حينه، وقد ساعد ذلك

علــى زيادة غربة هاينه عن الجمهور، حيث إنه حتى أعداء بورن اعترفوا بأنه كان رجلا مستقيما؛ لذلك شن هاينه هجمات أخرى في كتابه التالي Adhominem، بأســلوب عُد ذوقا مستقيما، حيث شن هاينه هجوما شخصيا على أقرب أصدقاء بورن، وهي جانيــت فــول Jeanette Wohl، مما اضطــر زوجها لتحديه فــي المبارزة، وكانت هذه آخــر معركة يخوضها هاينه، إذ أُصيب بجــرح في فخذه وقرر قبــل المبارزة أن يُؤمن مســتقبل ماتيلدا قبل موته، بالزواج منها .استمر هاينه في كتابة التقارير لصحيفة Allgemeine Zeitun، وكان أكثــر حــادث صحافي أثر فيه فعلا هو المعروف بفضيحة دمشــق، والذي تعــرض فيه اليهود للتشــهير بعد اتهامهــم بقتل كاهــن كاثوليكي. وقــد أدى هذا الحــادث إلى موجة مــن الإعدامات المضادة للســامية ولم تَكُن الحكومة الفرنســية، التي كانــت تعزز النزعــة الإمبريالية في الشــرق الأوسط، تهدف إلى إهانة الحزب الكاثوليكي، غير أنها فشلت في إدانة الاعتداءات.

مــن الناحية الأخــرى كان القنصــل النمســاوي قد عرض الفضيحــة باعتبارها خدعة، وكانت هذه الخطوة في نظر هاينه بمنزلة انقلاب في القيم، فالنمســا «الرجعية» ســاندت اليهود، بينما ماطلتهم فرنســا «الثورية» كســبا للوقت، واستجاب هاينه بنشــر روايته التي لم تكتمل Der Rabbi von Bacharach، والتي تدور حول إعدام اليهود في العصر الوسيط.

في العام 1840 حقق شــعرنا الألماني نقلة سياســية مباشرة عندما اعتلى فريدريك ويليام عرش بروســيا، وكان هاينه يعتقد مبدئيا أنــه قائد محبوب، وخلال فترة حكمــه الأولى التي تعد

شهر عسل للأدباء بين (1840 و 1842)، جرى تخفيف الرقابة مـا أدى إلى ظهور الشـعراء السياسـيين المحبوبـين المعروفين بـ «أصحـاب الاتجـاه» Tendenzdichter، والذين كان من بينهم هوفمان فون فولر مؤلف Deutschland ubenAlles، وفيردناند فريليجراث وجورج هيرفج، وكان هاينه يقلل من شأن هؤلاء الكُتاب على أسس جمالية، إذ كانوا في رأيه شعراء سيئين.

في العام 1840 صار شـعر هاينه أكثر سياسـية، وقد كانت الصياغة الشعرية عنده هجوما هجائيا لاذعا ضد ملوك بافاريا وبروسـيا، وهو الذي لم يعتقد ولو للحظـة أن فريدريك الرابع يمُكن أن يكون ليبراليا، في مواجهة حالة الخدر السياسـي التي يعيش فيها الشـعب الألماني، في مواجهة جشـع وقسوة الطبقة الحاكمة. ولعل أشـهر قصائد هاينه السياسـية قصيدة نساجو الكتـان Die Schlesischen Weber، وهي مبنية على ثورة النساجين في بيترسفالداو Peterswaldau، في العام 1844، وفـي أكتوبـر 1843 وصل الفيلسـوف الألمانـي كارل ماركس وزوجته إلى باريس بعد أن صادرت الحكومة البروسـية جريدته «المتطرفة» - بحسـب وجهة النظر الحكومية - واستقرت أسرة ماركس في شـارع فانو. كان ماركس معجبا بـ هاينه، وأوضحت كتاباته الأولي هذا الإعجاب، وفي ديسمبر من نفس العام، التقى هاينـه ماركس وتوافقا معا، على أن ينشـر ماركس عدة قصائد من بينها نساجو الكتان في جريدته الجديدة، وهي الجريدة التي تحمل اسم تقدميين.

بيـد أنه لم تتوافق فـي نهاية الأمر أفكار هاينـه عن الثورة عن طريق التحرر الحسـي مع أفكار ماركس العلمية ذات النزعة

الاشتراكية، ولكن الكاتبين تقاسما نفس الأفكار السلبية وفقدان الثقة في البرجوازية. وشعر هاينه بالوحدة لاسيما بعد انهيار علاقته ببورن، وكانت صداقة ماركس عزاء له، لأنه لم يكن يُحب الراديكاليين الآخرين.

ومن الناحية الأخرى، لم يشارك هاينه ماركس نفس إيمانه بالبروليتاريا الصناعية، وظل على أعتاب فكرة الاشتراكية، وحينما غضبت الحكومة البروسية من نشر ماركس لكتاب إلى الأمام Vorwarts، مارست بروسيا ضغوطا على فرنسا لكي تتعامل مع مؤلفيها بحزم؛ وفي يناير من العام 1845 رحل ماركس إلى بلجيكا، وظل هاينه مقيما في فرنسا لأنه كان يملك حق الإقامة فيها، ولأنه وُلد في ظل الاحتلال الفرنسي، وبعد ذلك احتفظ هاينه وماركس بمراسلات متقطعة، لكن إعجاب كل منهما بالآخر زال بعد فترة، نتيجة مشاعر هاينه المختلطة تجاه الشيوعية، والذي كان يعتقد بأن تطرفها وماديتها - بحسبه - يمكن أن يدمرا كثيرا من الثقافة الأوروبية التي أحبها وأعجب فيها.

يذكر أنه في الطبعة الأخيرة من ديوانه Lutetia، الذي رأى النور قبل عام واحد من وفاته، كتب هاينه يقول: «الاعتراف بأن المستقبل مِلك للشيوعيين، قُلته بمسحة خافتة من الخوف والألم، وإنها بما لا يدع مجالا للشك مُجرد قناع! فمن خلال الخوف والفزع، أتخيل أن هؤلاء الهدامين يصلون إلى السُلطة بأيديهم الخشنة يهدمون كل صور عالم الفن التي أحبها، فهم سوف يدمرون كل تلك الحكايات الفانتازية التي أحبها الشعراء جدا، وسوف يقطعون غابات الغار ليزرعوا البطاطس، وسوف

يستخدمون كُتب الأغاني لتصنع حقائب البن، وفتيلا للشموع في المستقبل، وأتنبأ بكل هذا، وأشعر بأسف عميق وأنا أتأمل هذا الانهيار الذي يُهدد أشعاري ويهدد النظام العالمي القديم... ومع ذلك أعترف بأن نفس هذه الأفكار لها إلحاح سحري على نفسي، لا يُمكن أن أقاومه، ففي صدري صوتان لا يمكن إسكاتهما، لأن الأول هو صوت العقل ولأنني لا أستطيع أن أنكر على الناس الحق في أن تعيش وتأكل، يجب أن أختلف مع النتائج. والصوت الثاني من هذين الصوتين الملحّين علي، هو الصوت الذي أتكلم به، وهو صوت أقوى من الصوت الأول لأنه صوت الكره الذي أكنه لهذا العدو المشترك الذي يؤسس المفارقة الفاصلة مع الشيوعية التي تعادي تماما العملاق الغاضب من أول وهلة؛ أتحدث عن الحزب الذي يسمى مؤيدو القومية في ألمانيا وعن أولئك الوطنيين المزيفين الذين لا يظهر حُبهم لأرض الآباء إلا في ذلك الكره الأبله للدول الأجنبية والشعوب المجاورة، والذين يتجرعون المرارة، لاسيما في فرنسا».

في الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر من العام 1843، خرج هاينه في رحلة إلى هامبورج لزيارة أمه المسنة المريضة، فضلا عن تسوية بعض الأمور مع كامب الذي اختلف معه ووصل إلى مصالحة مع الناشر الذي وافق على منح ماتيلدا راتبا طوال حياتها بعد وفاة هاينه، ثم كرر الرحلة مع زوجته في الفترة من يوليو إلى أكتوبر من العام 1844، لزيارة عمه سولومون، ولكن الأمور لم تكن على ما يرام هذه المرة، إذ كانت آخر مرة يغادر فيها هاينه فرنسا، وفي ذلك الوقت كان هاينه يعمل في قصيدتين مترابطتين متقابلتين مع عناوين شكسبيرية هما

«ألمانيا: حكاية شـــتاء» و«أتاترول: حلم ليلة صيف»؛ حيث ترتكز الأولــى على رحلته إلــى ألمانيا في أواخـــر 1843، ويتفوق فيها على الشعراء الراديكاليين في هجائه الساخر للموقف السياسي في البلاد، فيما يســخر في الثانية من الفشــل الأدبي الذي رآه في الشعراء الراديكاليين، خصوصا فريليجراث. تحكي قصيدة أتاتـــرول قصة صيد دُب هارب، وترمز إلى العديد من التوجهات التي يرفضها هاينه ومن بينها المســاواة والســذاجة التي تجعل من السماء صورة للإيمان، وتعني أتا ترول AttA Troll الرؤى القومية التي يشمئز منها هاينه، وهي لم تُنشر حتى العام 1847، كجـــزء من مجموعة القصائد الجديدة، التي ضمت كل القصائد التي كتبها هاينه منذ العام 1831.

في العام نفســه مات ســولومون، عم هاينه، مما وضع نهاية للإعانة الســنوية التي كان يحصل عليها مـــن عمه، والتي كانت تُقدر بـ 4800 فرنك فرنسي؛ وترك سولومون في وصيته لهاينه وأخيـــه نحو 800 فرنك فقط لكل منهما، وقد عرض وريث ثروة سولومون، ابن العم كارلوهو، على هاينه، أن يدفع له ألفي فرنك ســنويا دون شـــرط، لكن هاينه كان ثائرا لأنه توقع أكثر من ذلك في الوصية، وشغلته مراجعة بنود الوصية لمدة عامين.

كتـــب هاينه في العام 1844 سلســـلة مـــن الصفحات في النقد الموســيقي لعدة مواسم مختلفة شرح فيها موســيقى العصر، وكان نقده لموســم 1844 الموســيقي الذي كتبه في باريس في 25 إبريل 1844، أول إشارة إلى الإعجاب الجنوني بالموسيقى الهنغاري فرانز ليســت (1811 - 1886) (Franz Liszt)، وهو ما عرف في ذلك العصر بحُمّى الموسيقار ليست، أو ليست omania، كما يقولون.

ورغم كل ما سبق، فإنه من المعلوم أن هاينه لم يكن أمينا دائما في النقد الموسيقي، ففي أبريل من العام 1844، كتب هاينه إلى ليست مقترحا عليه قراءة النقد الذي كتبه قبل كونشرتو ليست ، وأشار هاينه إلى أن ورقته النقدية تضمنت تعليقات لن تعجب ليست، وهو ما اعتبره ليست محاولة ابتزاز؛ باعتبار أن النقد الإيجابي لم يكن ليتوافق مع أسلوب هاينه، وظهر النقد لاحقا في جريدة Berichteausparish Musikalische، حيث أرجع هاينه فيه نجاح ليست إلى النفقات الباهظة على باقات الزهور والصراخ الهستيري المتوحش لمعجبيه من النساء، مما دفع ليست عندئذ لقطع علاقته بهاينه. يذكر أن الموسيقار الأوبرالي الألماني جياكومو مايربر (1791 - 1846) (Giacomo Meyerbeer) كان قد اضطر في إحدى المرات إلى الاستدانة، لإعطاء هاينه نقودا نظير إبداء التقدير، إذ اضطر لدفع 500 فرنك إضافية بعد أن وصفه هاينه بمخرب الموسيقى في قصيدة Die menge tut es.

في مايو 1848 أصيب هاينه، الذي كان بصحة جيدة، بالشلل ولزم الفراش، ولم يغادر ما سماه بـ «حفرة الفراش» حتى وفاته بعد 8 سنوات، مواجها صعوبات أيضا في عينيه، ومن المُرجح أنه كان يعاني من التصلب، وتأكد، من خلال تحليل لخصلة من شعر رأسه وذلك في العام 1997، من أنه كان يعاني من تسمم مزمن بسبب الرصاص.

تحمل هاينه معاناته برحابة صدر، ونال الكثير من التعاطف، وكان مرضه يعني من زاوية أخرى قلة الاهتمام بالثورة التي قامت في فرنسا وألمانيا في العام 1848، إذ ساورته الشكوك

تجاه مجلس فرانكفورت واستمر في هجومه على ملك بروسيا؛ وعندما انهارت الثورة استأنف هاينه مواقفه المعارضة، إذ كان يأمل في البداية أن يكون نابليون قائدا جيدا لفرنسا، لكنه سُرعان ما وافق ماركس على آرائه تجاهه، لأن الإمبراطور بدأ يهدم النزعة الليبرالية والاشتراكية.

عاد هاينه في العام 1848 إلى الإيمان الديني، فهو لم يدع أبدا أنه ملحد، رغم أنه ظل على شكوكه في بعض مسائل الدين، واستمر يعمل في سرير المرض، على قصائد مثل Romanzero وGedichte، وقصائد ثانية ما بين الأعوام 1853 و1854، فضلا عن مقالات صحافية جمعها في كتاب بعنوان Lutezia ومذكرات شخصية لم يكملها. وخلال هذه السنوات الأخيرة وقع هاينه في غرام الشابة كاميليا سيلدن، التي كانت تزوره باستمرار، وقد مات هاينه في 17 فبراير 1856 ودُفن في باريس في مقابر مونمارتر، وظلت زوجته ماتيلدا تحيي ذكراه حتى وفاتها في العام 1883، وهو الذي مات من دون أن ينجب أي أطفال يواصلون ممارسة إحياء ذكراه على خطى والدتهم.

استمر أثر هاينه إلى ما بعد وفاته، إذ في الفترة ما بين 1833 و1899، وقبل أن يستولي النازيون على السلطة في ألمانيا، كتب هاينه يقول في كتابه تاريخ العقيدة والفلسفة في ألمانيا: «لقد خففت المسيحية - وهذه هي بركتها الكبرى - من حدة ذلك العشق الألماني للحرب، وهذه هي أعظم فضائلها لكنها لم تستطع تدميره، فهل ينهار ذلك الخضوع الطلسمي والجنون المسعور للمحاربين؟! كما أن غضب بسمارك المجنون الذي نطق

بــه وغناه كثيرون من شــعراء الملاحم الألمان ســوف يتحول مرة أخرى إلى شُــعلة؛ فهذا الطلسم الهش ســوف يأتي اليوم الذي ينهار فيه بائسا، وعندئذ ســوف تُبعث الآلهة الحجرية القديمة من أطلالها المنسية، وتنفض غبار آلاف السنين من عيونها، وفي النهاية سيقفز ثور وهو يهوي بمطرقة محطما تلك الكاتدرائيات القوطيــة، فلا تضحك من نصيحتي، إنها نصيحة حالم يحُذرك من المنسوبين إلى كانت وفيخته وكل فلاسفة الطبيعة، لا تضحك مــن حالم يتنبــأ بنفس الثورة في مجال المرئــي، كما حدثت في المجال الروحاني، والفكر يســبق الفعل، كما يسبق البرق الرعد، والرعد الألماني له ســمة ألمانية حقيقية، وهو ليس فطنا بالقدر الكافي، ومع ذلك ســوف يأتي، وعندما تســمع قعقعة لم تسمع مثلها في تاريخ العالم، عندئذ ستعرف أن الصاعقة قد حلت في النهاية، وعند ســماع هذه القعقعة ســتموت النسور في السماء وتختفي الأســود في عرائنها في أبعد صحاري أفريقيا وسوف تؤدي المسرحية في ألمانيا إنها المسرحية التي سوف تجعل الثورة الفرنسية أشبه بأغنية رعوية ناعمة!».

وفــي المرحلة اللاحقة لوفاة هاينه بعقــود، كانت كتابات هاينه مكروهــة من النازيــين، وإحدى علاماتها السياســية البارزة قيام جماعــة الحزب الألماني العمالي الاشــتراكي بجهد كبير كرســوه للهجــوم عليــه فــي دورياتهــم Völkischer Beobachter، وفــي إطار مجتمــع النخبة الثقافيــة اليهودية المختارة لشــيطنة العــداء للســامية، وربما لــم يتلق أحــد مزيدا من النقــد اللاذع من الاشــتراكيين الثوريين مثــل هاينه؛ إذ عندمــا اكتمل النصب التــذكاري له، صرحت إحــدى الجرائد بأن هامبــورج قد أقامت

أثرا يهوديا لهاينه وأن دمشــق ولاية يحكمها Alljuda (مصطلح ازدرائي يوصف به اليهود في ألمانيا النازية). وأشــار الناشرون في الجريدة الســالفة البيان، إلى كتابات هاينــه باعتبارها انحطاطا أخلاقيا وذلك في عدة مناســبات، كما ردد ذلك أيضا الفيلسوف الألمانــي الداعــم للنازيــة الفريــد روزنبــرج (1893 - 1946) (Alfred Rosenberg) وبشــكل متطابــق؛ لقــد كانت كتابات هاينــه أثناء قيام الرايخ الثالث،ممنوعــة ومحروقة، وبالطبع فإنه من سخرية القدر وغرائب الصدف أن هاينريش هاينه كتب، فيما يشبه الإرهاص: «حين تحرق الكُتب يحرق الناس أيضا في النهاية».

لم تأفل القيمة الفنية لأشــعار هاينه فــي أي يوم من الأيام، حيــث وضع كثير مــن مشــاهير المؤلفين الموســيقيين الألحان لأعمال هاينه، ومنهم روبرت شومان وخصوصا أغنية حب شاعر Dichterliebe المُلحنــة في العام 1840، من مجموعة أغنيات شــومان المسماة Lieder Cycle. كذلك صاغ فريدريش زيلشر موســيقي قصيــدة Die lorelei، وهي إحــدى أفضل قصائد هاينــه، فضلا عن فرانز شــوبرت، وفيلكس مندلســون، وفاني مندلســون، ويوهان برانز، وهوجو وولف، وريتشــارد شتراوس، وبيتر إلتش، وتشايكوفســكي، وإدوارد ماكدويل، وكلايا شومان، وريتشــارد فاجنر، وفي القرن العشــرين نيقولاي ميتنر، وهانز فيرز هينــز، وكارل أورف، ولــورد بيرنــرز، وبول لينك، ويزســكل براون، ومارســيل تيبرج، وفريدريش بومفيلدر، الذي ألف موســيقى أخرى لقصيدة Die Lorelei وقصيدة Die Blanunfrulingsaugen وقصيدة Wirwuchsen in Demeselbenthal في ديوان Zwei lieder، وقد اســتخدمت مســرحية وليم رايكليف كنص

لأوبرات من تلحين سـيزاركيني، وبيتر مكاجني، وفرانز فان دير سبتولين، الذي لحن افتتاحية سيمفونية للمسرحية نفسها.

وأخيرا، وليس آخرا، نذكر على مستوى أصداء شعر هاينه، أنه في العام 1890، ووسـط الإعجاب المُثمر الذي أدى إلى الاحتفال بمـرور مائة سـنة على ميلاد هاينـه، كانت قد تبلـورت الخطط لتكريمـه في ذكراه المئوية الأولى، فـكان الاحتفال الكبير مدعوما بقـوة معجبة كبيرة بهاينه، وهي الإمبراطـورة إليزابيث إمبراطورة النمسـا، التي أمرت بصنع تمثال للشـاعر يبدعـه النحات لويس هزلايي. وفي ذكرى أخرى صنعت نافورة جديدة لمدينة دوسلدورف؛ حيـث قوبلت بالحمـاس والترحيب في البداية ثـم تعرقل التنفيذ بسبب نقد عقائدي مضاد للسامية في اليوم الذي أُنجزت فيه؛ فلم يجـدوا مكانا يضعونها فيه، إلا أنه، وبعد تدخلات من الناشـطين الألمـان والأمريكيين، وضُعت النافورة فـي برونكس The Bronx في نيويورك سـيتي، وهي النافورة المعروفة باسم نافورة Lorelei - إشادة بقصيدته الشـهيرة - ويشير إليها الألمان باعتبارها إحياء لذكرى هاينه، كما كانت جامعة دوسـلدورف قد سميت بعد سنوات من الجدال باسـم جامعة هاينريش هاينه، وزيادة في تكريم المدينة لشاعرها، فقد وضع اسمه على الطريق الرئيسي فيها، فضلا عن تمثال حديـث بجوار قصر الإمبراطورة إليزابيث في كارفو، والذي رفضته هامبورج فيما بعد ليستقر في النهاية في مدينة تولون.

3 - عن غواية الشعر وفنية القصيدة..

على الشاعر أن يمتلك فضولا مستمرا رغم أن ذلك لن يجعل منه كاتبا؛ غير أنه إذا لم يمتلك ذلك الفضول فسيذبل... وعليه

أن يتحول من استقبال المثيرات إلى تسجيلها، وإلى إقامة علاقة متبادلة، هذا ما يشغل الطاقة الكاملة لحياة شخص... لا جدوى من محاولة الشاعر فعل شيء قد فعله آخر بأفضل طريقة يمكن القيام بها، قم إذن بشيء مختلف. كلمات قالها الشاعر الأمريكي الكبير عزرا باوند (1885 - 1972) (Ezra Pound)، بعد ذلك بسنوات طويلة بعد أن أنضجته الخبرة وطوّر إبداعه الاطلاع الطويل على الشعر وتجارب الشعراء؛ لكنها تنطبق أشد الانطباق على حالة الشعر عند هاينْرِيش هاينه، ذلك لأن في شعر هاينه كل شيء يجعل الشعر شعرا وإنما بحساب دقيق؛ فالموسيقى موجودة ولكن بغير زعق؛ والإيقاع متوافر ولكن من دون فجاجة؛ والهمس داخلي غير أنه مسموع، ومداعبات الألفاظ وشغبها واشتباكها معا، واختباء المعنى وظهوره وانكشافه؛ وتداخلاته كأنما تحركه وتغيره وتبدله وتوحي به يد ساحر؛ مثلما يبدع الصور خيال لا يكف عن التفجّر والسياحة والتفجير.

كل شيء في شعر كهذا عند هاينه مدروس بعناية الصانع ومختف - في الوقت نفسه- تحت عباءة الموهبة الفذة، ومتدثر فيما يبدو عليه بتلقائية وانسياب وبساطة مطواعة حتى لتظنها عفوية من شدة إحكام الصنعة التي وراءها.

يأخذك شعر هاينه بعيدا حتى تظن أنك تهت وأن التتابع الهادئ الدالّ في السياق قد فاتك أو فقدته؛ فإذا به يعود بك سالما من حيث بدأت ولكن بعد أن ظفرت منه بفرحة قدرتك على الاكتشاف وعطية التمكن من الكشف، وذلك حينما يلفت نظرك إلى ما لم تكن قد تنبهت إليه من مفارقات اللفظ وتشاكلات المعنى.

تتابك الدهشة حينما تكتشف أن المعنى كان قريبا منك، وأنه قد مرّ أمامك أو كان منتحيا في جانب من عقلك لكنك لم تنتبه إليه؛ بيد أنه مقابل حسـرتك على ذلك يهبك- عوضا عنه- لذة التعرف ومتعة إعادة الاكتشاف مع ما يقترن بهما من إعادة الثقة في ذوقك وعقلك.

كما أن المفارقة تصدمك بل تعيدك إلى القصيدة من البدء حتى تصل إلى النهاية وقد أضاءها لك الفهم الجديد والتذوق الآخر فتراها سهلة بسيطة- وربما ساذجة - لكنها سهولة الإعداد الصعب وسذاجة القدرة وعلوّ درجات المعرفة والاحتراف الذي يرفع صاحبه إلى مقام النوال؛ ذلك الذي لا يتاح لغير المتمكنين بعد الثبات على الجهد والتشبث بالإصرار.

إن شعر هاينه يعيدك مرة أخرى إلى فهم ماذا يعني أن يكون الشاعر صانعا ماهرا، حسب ذلك الإهداء إلى الصانع الأمهر، الذي كتبه الشاعر الأميركي الآنف الذكر عزرا باوند، لمعاصره الشاعر الأميركي الأبرز ت. س. إليوت (1888 - 1965) (T. S. Eliot)، بعد قراءته قصيدته العظيمة الأرض الخراب The Waste Land، والصادرة في العام 1922؛ مؤكدا عزرا على الدّربة والحرفة والمعرفة بأصول الصنعة، وهو مثال يحب المرء أن يستشهد به كثيرا، وينطبق هنا تماما على تجربة هاينه الفذة مع الشعر. إن قراءة هاينه للشاعر الألماني الكبير قد أضاءت مبحثا مهما من احتمال تأثر إليوت بهاينه، في «الأرض الخراب»، وهو ما سيكون له موضع آخر من الدراسة والبحث.

يأخذ شعر هاينه قارئه إذن إلى عالم ساحر غامض معقد ومركب، ورغم كونه سلسا وبسيطا فإن عرضه له مكثف

ومنضبط، ربما لقدرته على التحكم في المفردات وإدارة شـــئون اللغة والفكــرة في القصيدة، حتى لتبــدو كأن مفرداتها تتواثب أمامه عارضة نفســها عليه كي يختار منها؛ لكن هاينه - بحذقه ودربتــه وبالخبرة في التعامل معها والإلمام المذهل بقاموســها - يعرف كيف يفاضل بينها وكيف يتخير وينتقي منها.

ورغــم وضوح الرؤيــة تماما بالنســبة إلى هاينــه - كمبدع متحكم مســيطر على أدواته - فإنه يقف بالقارئ في منطقة بين التصريح والحجب أو لنقل بين الغموض والكشف، أو بين الهتك والإلغاز؛ إذ إن كل مفردات لغته ملك يديه يأســرها ويركب بينها داغما الحرف لحســاب النغم، ويقطعها، أو يركبها معا لحساب الموسيقى، أو مضخما الكلمة في ميزة تشتهر فيها اللغة الألمانية، فيصنــع منها ويبتكر كلمة جديــدة وينحت منها مفردات طازجة لكنها مدهشــة، لكونها انزلقت من رحم قاموسها، لكن اكتشافها يحســب لــه فتضاف إلى قاموســه هو لأنه مبتكرها، مشــتقها ومشغلها وعارضها للتذوق والاستمتاع.

أما قدرة هاينه على صياغة الصور وســبك المشهد فمدهشة بلا حدود، حيث يتنقل مراوحا لاعبا متفننا بين الصور البسيطة والمركبة، أو بين المشــهد المكثف المختصر والمشــهد المتداخل في آخر، والمشــهد العائد إلى غيره بما يثيره ويســتفزه في الخيال والعقل وما يفتــح به أبواب مخزن الخبــرة المتراكمة برصيدها الكانز لمعرفة مذهلة بتراث الأدب الشــعبي، والتقاليد والعادات والاســتعمال التاريخي للكلمة، وتراث الشــعراء المهضوم جيدا، وتقاليــد صياغة وبناء القصيدة في معرفــة مذهلة وإلمام خارق للعــادة وصفهما ت. س. إليوت فيما بعد بأنهما ثقافة الشــاعر

التـي تصل إلى حـد الادعاء؛ بمعنى أنه يصعـب على الآخرين تصديق تحصيله لها، وهكذا كانت ثقافة الشـاعر الألماني الكبير هاينه.

أجل، إن شـعر هاينه سـهل وبسـيط لكنه صعب ومعقد في الوقت عينه، إذا ما تأملنا الظاهر والباطن وراوحنا بين التفسير والتأويل ثم ربطنا ما قرأناه بعصـره معاناة وأحداثا وصراعات وذوق وهموم وأسـلوب حياة. إن القصيدة عند هاينه كما المحارة الثمينة لا تكشـف عن حبة اللؤلؤ إلا حين تفتح ولكن بيد خبير، وهـي أيضـا كالثمرة داخل القشـرة الصلبة وكالنـواة الجامدة الحاملة لسر الحياة داخل الثمرة الطرية الهشة الرقيقة.

كما يتصـرف هاينه في الأنغام والإيقاعـات بمعرفة مذهلة بموسيقى الشعر وإيقاع القصيدة ملتزما مرة برويّ موحد، ومرة بالتحرر منه، مسـتخدما نبرا حاد بارزا ورنينا شـديد الوضوح؛ ثم مرة أخرى لاعبا بنبر هادئ وإيقاع ناعم خافت يصل إلى حدّ الهمـس كأنما تبعثه أصابع عازف بيانـو ماهر تطير فوق لوحة مفاتيحه وتلمسها خاطفة من دون أن تستقر عليها.

وإلـى جانب كل ما سـبق، فضلا عن خبـرة الصنعة ومهارة الأداء والتحكم في الشعر، فإنه لا بد أن تذكر التجربة الإنسانية لـ هاينه الذي عـاش حياته العقلية وتجاربه الإنسـانية مغامرا سـاطعا واضحا محدد الفكر شجاعا متوحدا مع نفسه حاصدا للـذة ومكتويا بالعذاب والألـم؛ لأنه لم يرد أبـدا أن يكون غير ذاتـه وألا يصبح غير نفسـه. ومن أجل ذلـك الإخلاص الفريد تعذب وتألم وعانى من ضيق العيش وتسـلط المختلفين معه في الأفكار. كما التذ بطعم الصداقة وحلاوة الاعتراف بقدرته مثلما

أضناه الجحود وعذبه التخلي عنه وأكربه الإنكار، وقد كان له من كل ذلك نصيب بسبب نشأته وصبوته عن دين أجداده؛ وبسبب أفكاره المضادة للنفاق والرياء ومقاومته الفساد.

أما ثقافته ومعرفته بتراث الشرق العربي وبالإسلام فقد كانت في حدّ ذاتها مثيرة للدهشة وللتأمل والإعجاب بقراءته المبكرة في تاريخه وافتتانه بدولة الأندلس وتعاطفه المأساوي الصادق تجاه سقوطها، وقد تجلى ذلك في مسرحيته السالفة الذكر المنصور، والتي كتبها في الثانية والعشرين من عمره، وكانت من وحي سياقها وأحداثها وعمقها، نتيجة قراءة ومعرفة واطلاع، ثم موقف محدد مفارق، بل ومضاد لإجماع الغرب الاستعماري بصليبيته السياسية، الذي ازدراه هاينه وهاجمه من دون هوادة، متناغما مع نزعته الإنسانية النبيلة، ومع مبادئه الليبرالية الأصيلة، التي دفعته إلى انتقاد الشيوعية ونقض الماركسية، على الرغم من صداقته وقرابته وإعجابه بكارل ماركس.

أجل... كان هاينه واضحا وضوحا شديدا وساطعا سطوعا طالما عرضه لمضايقات ومكائد الأعداء، لكنه بغير ذلك كله ما كان له أن يهدي العالم والإنسانية مثل ذلك الشعر العظيم، أو يستحق أن يسميه نيتشه أعظم الشعراء الألمان بعد جوته، ولا أن تعيش أشعاره فتخلد في مئات الأغنيات، أو تطبع في مئات الطبعات وتؤلف فيها آلاف الدراسات.

4 - هاينْريش هاينه بقلم الناقد الإنجليزي ماثيو آرنولد

هاينْرِيش هاينه شاعر ألمانيا الرومانتيكي الكبير، هو مع ذلك أكثر من مجرد شاعر رومانتيكي، ذلك لأنه شاعر حديث كبير لم

يتمكن العصر الوسـيط من غزو عقله رغم قوة أفكاره ونفاذها؛ ذلك لأن شـاعرا مثل هاينه يمتلك طلّسما يشعر من خلاله بقوة الأفكار الحديثة وتأثيرها. ويعتقد ناقد فرنسي لأعمال هاينه أن ذلك الشاعر الكبير قد نشر، مع دقات الطبول في البلاد الألمانية، الأفكار التي سـادت عام 1789. وأن أشباح العصر الوسيط قد هربـت من الضجـة المبتهجة التي أثارتها هـذه الطبول. ولكننا – ومن وجهة نظرنا – نعتبر رأيه مجرد تفسـير فرنسـي للأمر، لأن ألمانيـا – التي هي منجم الأفكار الرحب – لم تكن في حاجة إلى اسـتيراد أفكار كهذه مـن أي بلد أجنبي! وإذا كان هاينه قد حمل مثل هذه الأفكار من فرنسـا إلـى ألمانيا؛ فقد كان بإمكانه إذن أن يحمـل الفحم إلى نيوكاسـل. ولكن لأن فرنسـا – التي هـي الأقل تأملا مـن ألمانيا إلى حد بعيد – تعتبـر هي البارزة واليقظة والغيورة المتحمسـة مثلما هي صاحبة التطبيق العملي للأفكار، حين تمسـك بها في كل مناحي النشاط الإنساني. وهو ما تفشـل فيه ألمانيا. إنه التطبيق العملي للأفكار إذن، التطبيق الذي بفشلها فيه تبدو عاجزة وعقيمة!

يقـول هاينْرِيـش هاينـه: عندمـا وصل شـخص نزيه إلى Eldorado، كان بعض الصبية يلعبون في الشوارع بقطع الذهب بـدلا من قطع الرخـام، وقد جعلته هذه الدرجـة من الرفاهية يتصـور أنهم لا بـد أن يكونوا أولاد الملـك بالطبع، ولم يندهش قليلا عندما اكتشـف أن قطع ذهب إلدورادو تلك ليسـت أكثر قيمة مـن قطع الرخام التي لدينا، وأن أطفـال المدارس يلعبون بها. وقد حدث شـيء مماثل لصديق أجنبي لي عندما جاء إلى ألمانيا وقرأ الكُتب الألمانية للمرة الأولى مندهشا من ثراء الأفكار

التـي وجدها فيها، لكنه لاحظ علـى الفور أن الأفكار في ألمانيا بنفس غزارة قطع الذهب في إلدورادو. وأن أولئك الكُتاب الذين يعتبرهم أمراء الفكر كانوا في الحقيقة هم صبية المدارس!

لقد كان هاينه، كما يسمي نفسه، ابن الثورة الفرنسية والملقن لمبادئها، ذلك لأنه طمأن الألمان - وبشكل فعال - أن الأفكار ليست خشبا أو رخاما نلعب بها لذاتها، ولكن لأنه نجح في تقديم أفكار حديثة في الأدب؛ فقد طُبقت بأقصى حرية ووضوح وأصالة. ولذلك فقد أعلن أن المهمة الكبرى في حياته هي السعي إلى ترسيخ علاقة ودّية بين فرنسا وألمانيا، حيث سعى إلى أن يقوم بعملية ربط بين الروح الفرنسية والأفكار والروح الألمانية كي يؤسس شيئا جديدا ويبدأ عصرا زاهرا، ولذلك فإنه يستحق اهتمام النقد أكثر من كل معاصريه من الشعراء الألمان الذين يواصلون التعلق بالعصر القديم حتى ينقضي. ومن المتنبئ به أنه يتحتم على فرنسا أن تصنع أثرها المحسوس كعنصر فاعل مؤثر في آداب البلاد الأخرى بتحالفها مع الروح الوطنية والحركة والتجديد، مثلما تركت أثرها المحسوس في ألمانيا، وربما بعد خمسين سنة سوف يتولى ناقد في مجلة Cornnhill Magazine مهمة التوضيح لأحفادنا حول كيفية حدوث هذه الظاهرة.

إننا في إنجلترا، في حركة نهوضنا الكبير بأدبنا، خلال الثلاثين سنة الأولى من القرن الحالي، لم نحظَ بأي تأكيد للروح الحديثة؛ مثلما أكدت هذه الروح نفسها في أعمال جوته أو أعمال هاينه، والسبب ليس بعيدا عن سعينا؛ لأننا لم نمتلك ثروة الأفكار الألمانيةِ ولا الحماس الفرنسي في تطبيقها؛ حيث سادت تلك النزعة المادية المتأصلة الجذور في الأمة الإنجليزية

لو أردنا أن نستخدم التعبير الألماني، تلك النزعة التي تتفاعل مع العبقرية الفردية التي هـــي محرومة منها؛ ففي أعظم عصورنا الأدبيـــة - وهو العصـــر الإليزابيثي - كان المجتمـــع الإنجليزي منفتحا عموما على الأفكار، مزهوا بها ومنتعشا كذلك إلى درجة لا يمكن الوصول إليها منذ ذلك الحين!

لذلك فـــإن العظمة الفريـــدة في أدب شكســـبير الإنجليزي ومعاصريـــه، أنهم كانوا مدعومين بقوة الحيـــاة الفكرية لأمتهم، وأنهـــم طبقوا فـــي الأدب - بحرية آنذاك - أفـــكارا حديثة هي أفكار عصر النهضة والإصلاح، ثم بعد ذلك ببضع سنوات دخلت الطبقة المتوسطة سجن النزعة التطهيرية، لكن هذه الطبقة التي هي نواة الأمة والتي دعم ذكاءها العاطفي أدب شكسبير؛ أغلقت على روحها الباب بالمفتاح طوال مائتي سنة. ويقول Job إن ذلك يتســـبب في توســـيع الأمة وتقييدها ثانية. ثم حدث في الحركة الأدبية، في بداية القرن التاسع عشر، أن قامت محاولة الإشارة إلى تطبيق الروح الحديثة في إنجلترا، من خلال عضوين ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية هما الشاعران Byron وShelly.

ومع أن الارســـتقراط في حدّ ذاتهم ليسوا مخترقين بالأفكار كطبقة؛ إلا أن أعضاءها قد امتلكوا شجاعة كبيرة وميلا لتحطيم القيود، ويثور الرجل العبقري الذي يولد بهذه الفكرة، ويتصادف أن يكـــون قد ولد منتميا إلى هذه الأرســـتقراطية، ضد العقبات التي تمنعه من تطبيقها بحرية، لكن بايرون وشيللي لم ينجحا في محاولتهما تطبيق الروح الحديثة في الأدب الإنجليزي. حيث كان حجـــم المقاومة لصدّها وإرادة التعاطف الذكي لتوجيهها ودعمها كبيرا جدا. وأصبح إبداعهما الأدبي مقارنة مع إبداع شكســـبير

وSpenser؛ ومقارنـــة مــع الإبداع الأدبي لجوتـــه وهاينه مثالا لفشــل ذريع؛ ذلك لأن أفضل إبداع أدبي، فـــي ذلك العصر في إنجلتـــرا، قد نبع من رجال لم يقوموا بالمحاولة الجريئة نفســـها التي قام بها بايرون وشيللي!

فما هـــو في الواقع النجـــاح الذي حققــه أدب الإنجليز الكبار ومعاصريهـــم؟ إن أعظمهـــم وهو الشـــاعر الرومانتيكي الإنجليزي وليـــام وردســـورث (1770 - 1850) (William Word-worth)، الذي كان قد «تَرهّب في دير»، بتعبير العصر الوسيط، أو بمعنـــى أنه كان قد قمع نفســـه بغمســـها في حيـــاة داخلية، لقـــد اعتـــزل الروح الحديثـــة متطوعا. أما صديق وردســـورث، وهو الشـــاعر الإنجليـــزي صمويل كولـــدرج (1772 - 1834) (Samuel Taylor Coleridge) فقد أدمن تعاطي الأفيون؛ بينما صـــار معاصرهما الشـــاعر الاســـكتلندي والتر ســـكوت (1771 - 1832) (Walter Scott)، مؤرخا للنزعة الإقطاعية الملكيـــة، في حـــين كـــرّس الرومانتيكي الإنجليـــزي جون كيتس (1795 - 1821) (John Keats) نفســـه لعبقريـــة حســـية بقدرته على تفسير الطبيعة، ثم مات بداء السل في سن الخامسة والعشرين.

لقد ترك وردســـورث وســـكوت وكيتـــس أعمـــالا رائعة أكثر صلابـــة واكتمالا من الأعمال التي خلّفها بايرون وشـــيللي، لكن أعمالهم كان بها العيب نفسه لكونها لا تنتمي إلى ما يسمى التيار الرئيســـي في أدب العصور الحديثة، the main current of the literature modern epochs، حيث لم يطبقوا أفكارا جديدة في الحياة؛ مكتفين بتيارات ثانوية minor currents،

كمــا أن كل الأعمــال الأدبية الأخرى في عصرنــا - مهما كانت شــعبيتها - لا تؤسس إلا تيارا ثانويا. وهكذا سوف يبقي بايرون وشيللي في الذاكرة طويلا، وسوف تظل أعمالهما المميزة بوضوح - على الرغم من عدم تلاؤمها مع الروح الحديثة بسبب عاطفتها وجهدها الجبار - متدفقة في التيار الرئيســي للأدب الحديث، كما سيظل اسماهما أعظم كثيرا من كتاباتهما.

لقــد كان حظ هاينه الأدبي أكبر من حظ بايرون أو شــيللي؛ لأن مســرح عملياته الأدبية كان ألمانيا التي لا تكمن ماديتها في الســعي إلــى الأفكار، أو تعــذّر الوصول إليها؛ لأنهــا تزخر بها وتعشــقها، ولكن كما قلــت من خلال التطبيــق الواهن والمتردد للأفــكار الحديثة على الحيــاة، فحداثة هاينــه المكثفة وحريته المطلقــة ورفضه التــام للدعائــم الكلاســيكية والرومانتيكية، وإخضاع كل شــيء لوجهة نظر القرن التاســع عشــر من خلال فردية النزعة الفكرية المتسامحة، كلها كانت أمورا مفهومة وثابتة في قلبه بواسطة ألمانيا، ومن خلال فضيلة نزعتها الفكرية الهائلة المتسامحة، أكثر مما كان يوجد في كل ما قاله هاينه؛ كي يواجه ويُحرج ألمانيا. فالفكاهة - التي هي - روح فرنســا المتقدمة هي ما أضفاه هاينه على الثقافة والعواطف والفكر في ألمانيا، الأمر الذي جعله مميزا حيث اتّحد وضوحه المدهش ورشــاقة أسلوبه وحريته مع قوة المشاعر ومساحة التنوع الكبيرة.

ويــا لها من فكاهة مرة أخــرى؛ فكاهة تمثلت في ذلك القول الذي سمع به الجميع: الرجل الإنجليزي يُحب الحرية مثل زوجته الشرعية، والرجل الفرنسي يحبها مثل عشيقته، والرجل الألماني يحبها مثل جدته! لكن اللغة التي يعطيها هاينه لهذا القول الذي

لا يقبل المقارنة ليست مفهومة جيدا، كما أنه بهذه اللغة يبرر نفسه كشاعر مطبوع مملوء بالرقة والحنو، ذي المعين الذي لا ينضب والمتجدد إلى مالا نهاية. ومع ذلك، فلا أحد يستطيع أن يقول في النهاية كيف تسقط الأشياء!

فالرجل الإنجليزي النكِد بسوء طبعه مع زوجته يمكنه يوما ما أن يضع الحبل حول رقبتها ويجرها ليبيعها في سميث فيلد، وربما يصبح الرجل الفرنسي المتناقض خائنا لعشيقته المحبوبة، وأن يُرى هو يتملق القصر الملكي... لكن الألماني لن يترك جدته العجوز؛ بل سوف يحتفظ لها دائما بمكان بالقرب من المدفأة، حيث يمكنها أن تروي حكاياتها للأطفال، من الممكن إذن أن نلمس - برقة وسعادة أكبر - كلا من ضعف ألمانيا وقوتها: ألمانيا المثقفة المدققة في تحذلق، البسيطة، الحرة، المستعبدة، المثيرة للسخرية وألمانيا المثيرة للإعجاب؟!

وشعر هاينه - أغانيه؟ الراحة بعد التعامل مع عبقرية الشعب الفرنسي المجبرة من دون مقاومة أن تحاول وأن تعبر عن نفسها بالشعر؛ وأن تعرض في عمق ما زرعه القدر مع كثير من الصخور - راحة الوصول إلى رجل ذي عبقرية، يجد في الشعر أكثر تعبيراته حرية واكتمالا، والتي جعلتها الرحلة في عمق قَدَرِ الشعر ناعمة!

وبعد الإيقاع، بالنسبة لنا - وبأي معدّل - مع عجينة تركيباتنا الألمانية، غير المرضية بعمق لـ:

آه! ما أقول لك، وتقول لي يا حبيبي؟

من قال إن السماء في الفجر واللهب في اللهب؟!

Ah› qui me dites - vous‹ et qui cousditmon âmi?

Qui dit le ciel‘al’aube et la flame a la flame?

ويا لها من نعمة أن نصل إلى إيقاعات، مثل:

خذ، آه، خذ تلك الشفاه بعيدا، تلك التي تحلف كذبا بعذوبة

،Take. oh، take those lips away

- That so sweetly were forsworn

أو:

Siehstsehrsterbeblaesslichaus

Dochgetrost! du bistzuhaus

يلوح عليك شحوب الموت بشدة

لكن وبكل اطمئنان! إنك في المنزل.

تلـك التي يمكن أن تنال بها روح الإنســان المتعة! حيث لا يمكن لســحر الشكل الشــعري عند هاينه أن يوضع موضع المقارنة؛ لأنه يستخدم - بشكل رئيسي - شكلا من أشكال الشعر الشعبي الألماني القديم هو شــكل الأغنية الشعرية القصصية ballad form ذات السرعة والخفة الأكبر من أي ballad لدينا. إنه يوظف هذا الشكل الرائع والأكثر خفة وســهولة، مع أنه يمتلك في الوقت نفسه الثراء الفطري والعاطفة وســحر العالم القديم المتوافر في كل الأشــكال الحقيقية للشــعر الشــعبي. كما يمزج شــعر هاينه أيضــا ودائما انطباع الحداثة الفرنسية ووضوحها مع العواطف والثراء الألمانيين، وأن تقــديم هذا الانطباع الممتزج - كما ســبق وذكرت - هو أعظم ســمات هاينه. ولكي نشعر بذلك فلا بد أن نقرأه؛ ونرى أنه يقدمه من خلال شــكله/ قالبه/ صيغته الخاصة، مثلما يقدمه من خلال مضمونــه، حيث يمكنني فقط أن أعيد إنتاج هذه الملامح من خلال الترجمة مادامت المضامين تقدمها. حيث تســتطيع مضامين كثرة من قصائده أن تقدم إحساســا معينا لتلك العواطف، وها هي مثلا

القصيدة التي يجعــل فيها الجهر بالإيمان بالروح الجميلة البريئة، نوعا من GRETCHEN طفل أحد عمال المناجم البسطاء الذين يملكون كوخهم بين غابات الصنوبر على سطح جبال هارتز Hartz، من دون أن يحمل مبادئ العقيدة المسيحية القديمة:

آه يا ولدي، حينما كنُتُ صغيرا،

وبينما كنُت جالسا على حجر أمي،

آمنت بالله الأب، الذي يسير الأمور في السماء،

الخير العظيم؛

الذي خلق الأرض الجميلة،

والرجال والنساء الجميلون والجميلات.

والذي حدد للشمس والقمر والنجوم المسارات.

وعندما كبرت، يا بني فهمت وازددت ذكاء؛

آمنت بالابن؛

بالابن المحبوب الذي أحبنا،

وجلّى لنا الحب؛ وكانت جائزته،

كما هو حادث دائما؛ أن الناس صلبوه.

والآن عندما كبرت وقرأت كثيرا، وسافرت كثيرا، بدأ قلبي يخفق بداخلي،

وآمنت من كل بالروح المقدس.

أعظم المعجزات كانت من صنعه،

وأعظم معجزة يفعلها الآن أنه يظهر منفصلا بقبضة القاهر القوية ويظهر منفصلا في خضوع العبد الرقيق.

إنه يشفي جراح الموت القديمة، ويجدد الحق القديم،

كل البشر لديه جنس واحد من النبلاء المتساوين،

يطارد السحُب الشريرة وشراك العقل المظلمة التي أفسدت
علينا الحب والفرح وجثمت عابسة فوقنا.
ألف فارس بكامل عدتهم اختارهم الروح القدس كي يحققوا
إرادته،
وبث الشجاعة في نفوسهم.
تتوهج سيوفهم الخيرة، وتخفق راياتهم اللامعة فماذا يمكن
أن تعطيهم أكثر يا ولدي، حسنا، كي ترى مثل أولئك الفرسان
الشجعان؟
حسنا، انظر لي، يا ولدي! قبلني،
وانظر لي بجسارة! واحد من فرسان الروح القدس هو أنا.

* * *

شجر التنوب بأصابعه الخضراء الداكنة
ينقّر فوق النافذة بأسفل؛
والقمر؛ الصاغي الأصفر،
يبعث من داخل أجمل ألق لها.

* * *

الأب والأم كلاهما نائمان،
على مقربة يلتمسان الراحة،
فيما نتبادل أحلى الكلمات،
ويبقى كل منا الآخر يقظانا (دون منام).

* * *

ولأن دعاءك في الغالب يبدو،
غير مجاب، أعلن:
أن هنالك وسما على شفتيك علامة،

لم يكن مطلقا يولد بالدعاء..

* * *

آهٍ ذاك التعبير البارد مفتقد القلب،

يشعرني بالخوف إذا حدّقت:

رغم أن الحزن الوقور يعتّم،

في مقلتيك البريق الرقيق.

* * *

وينتابني الشك إن أنت صدقت،

أن ما يأخذه الآخرون على محمل الصدق:

فهل تؤمنين بالإله الأب،

بالابن وبالروح القدس؟

* * *

آه، يا حبيبتي حينما كنت طفلا،

أقف على ركبتي والدتي،

آمنت :(آنذاك) بالإله الأب،

الخيّر العظيم، الذي يسيرنا.

* * *

الإله، الذي جعل الكون لطيفا جدا،

من وهب الإنسان جمالا وأعطاه قوة،

وحدد المسار مسبقا للشمس والنبات والقمر؟

ينبغي علينا فقط أن نقلب صفحات رومانسياته Romancero – Romanzero التي هي مجموعة من القصائد التي كتبها في السنوات الأولى لمرضه؛ حيث كانت قوته وفتنته لاتزال مُجسدة فيها، وليس الألم الذي يشيع في

جوّ فَرشة القبر Matrazen - Gruft، مثل قصائده الأخيرة.
وحتى نرى اتساع وتنوع شعر هاينه لنلاحظ أن أكثر النماذج اختلافا يتلو كل منها الآخر مثل:

Edith with the sawn neck, Charles the first,
,King Rampsinitus David, Marie Antoinette
a heroine of Mabille, Melisandra of Tripolie
Richard Couer du LION, Pedro the Creul,
Firdusi, Cortes, Dr. DOLLINGER

غير أن هاينه لم يحاول أن يكون موضوعيا بروح المصري القديم أو العبراني القديم، أو فارس العصور الوسطى، أو المغامر الإسباني، أو الإنجليزي المؤيد للحكم الملكي؛ بل ظل دائما كما هو هاينْرِيش هاينه ابن القرن التاسع عشر.

كلما كبرت يا حبيبتي،
واكتسبت الحكمة في حياتي،
أدركت بالمنطق،
صرت الآن مؤمنا بالابن.

فالابن المحبوب تماما، والذي بالمحبة،
فتّح أبواب الحب على مصاريعها،
وللشكر - كالعادة -
كان العالم مصلوبا.

الآن، إذن أصل إلى مرتبة الإنسان،
سأزهو ممتلئا بالتجربة،

ويقلب منفتح، فعلا،
أومن بالروح القدس.
الذي صنع أعظم المعجزات،
سيصنع ثانية أعظم منها،
لقد حطم قبضات الطغاة القوية؛
وسيكسر قيد التبعية.

الجروح القديمة المميتة تشفى،
وحق الإنسان القديم يجدد،
الناس جميعا ولدوا أحرارا متساوين لديه،
ونبلاء في نظره.

لسوف تفرّ سحابات الشرّ أمامه،
وشراك العقل (تفرّ) كذلك،
من حرمتنا الحب وحرمتنا المتعة،
عبست (متجهمة) في أوجهنا.

وألف فارس مدججون بالسلاح،
قد انتقاهم آمرا،
تحقيق تعليماته المقدسة،
الكل قد أُلهم بالهدف النبيل.

* * *

عجبا... سيوفهم تلمع،
راياتهم تخفق في الفضاء!

فما الذي يمكن أن تشاهدي حبيبتي،
كمثل ذلك الفارس المتخايل النبيل؟

حسنا، تأمليني يا عزيزتي،
أنا المضيف من كريم الأصول،
وقبليني! لأنني المختار،
فارسا حقيقيا لروح القدس.
لم تكن لتولد بالدعاء
آه... ذلك التعبير البارد القاسي
يخيفني كلما انظر
رغم أن الحزن الوقور يطفئ
في عينيك البريق الرقيق
وأشك لو صدّقت
ما يظن كثيرون أنه حقيقة
فهل تؤمن بالله الأب
وتؤمن بالروح المقدس؟
آه... يا حبيبي، حين كُنت طفلا
أقف على ركبتي أمي
آمنت بالله الأب
الخير العظيم الذي يحكمنا
فهو الذي جعل العالم جميلا
وأعطى الإنسان الجمال، وأعطاه القوة
وحدد للشمس والقمر والنبات مسارهم.

* * *

قائمة بأعمال هينريش هاينه

A list of Heine's major publications in German. All dates are taken from Jeffrey L. Sammons: Heinrich Heine: A Modern Biography (Princeton University Press, 1979).

- 1820 (August): Die Romantik ("Romanticism", short critical essay)
- 1821 (20 December): Gedichte ("Poems")
- 1822 (February to July): Briefeaus Berlin ("Letters from Berlin")
- 1823 (January): ÜberPolen ("On Poland", prose essay)
- 1823 (April): Tragödiennebsteinemlyrischen Intermezzo ("Tragedies with a Lyrical Intermezzo") includes:
    - Almansor (play, written 1821-1822)
    - William Ratcliff (play, written January 1822)
    - Lyrisches Intermezzo (cycle of poems)
- 1826 (May): Reisebilder. ErsterTeil ("Travel Pictures I"), contains:
    - Die Harzreise ("The Harz Journey", prose travel work)

- Die Heimkehr ("The Homecoming", poems)
- Die Nordsee. ErsteAbteilung ("North Sea I", cycle of poems)

- 1827 (April): Reisebilder. ZweiterTeil ("Travel Pictures II"), contains:
    - Die Nordsee. ZweiteAbteilung ("The North Sea II", cycle of poems)
    - Die Nordsee. DritteAbteilung ("The North Sea III", prose essay)
    - Ideen: das Buch le Grand ("Ideas: The Book of Le Grand")
    - Briefeaus Berlin ("Letters from Berlin", a much shortened and revised version of the 1822 work)
- 1827 (October): Buch der Lieder ("Book of Songs"); collection of poems containing the following sections:
    - Junge Leiden ("Youthful Sorrows")
    - Die Heimkehr ("The Homecoming", originally published 1826)
    - Lyrisches Intermezzo" ("Lyrical Intermezzo", originally published 1823)
    - "AusderHarzreise" (poems from Die Harzreise, originally published 1826)

- Die Nordsee ("The North Sea: Cycles I and II", originally published 1826/1827)
- 1829 (December): Reisebilder. DritterTeil ("Travel Pictures III"), contains:
  - Die Reise von MünchennachGenua ("Journey from Munich to Genoa", prose travel work)
  - Die Bäder von Lucca ("The Baths of Lucca", prose travel work) Anno 1829
- 1831 (January): Nachträgezu den Reisebildern ("Supplements to the Travel Pictures"), the second edition of 1833 was retitled as Reisebilder. VierterTeil ("Travel Pictures IV"), contains:
  - Die Stadt Lucca ("The Town of Lucca", prose travel work)
  - EnglischeFragmente ("English Fragments", travel writings)
- 1831 (April): Zu "Kahldorfüber den Adel" (introduction to the book "Kahldorf on the Nobility", uncensored version not published until 1890)
- 1833: FranzösischeZustände ("Conditions in France", collected journalism)
- 1833 (December): Der Salon. ErsterTeil ("The Salon I"), contains:

- FranzösischeMaler ("French Painters", criticism)
- Aus den Memoiren des Herren von Schnabelewopski ("From the Memoirs of Herr Schnabelewopski", unfinished novel)

- 1835 (January): Der Salon. ZweiterTeil ("The Salon II"), contains:
  - Zur Geschichte der Religion und Philosophie in Deutschland ("On the History of Religion and Philosophy in Germany")
  - NeuerFrühling ("New Spring", cycle of poems)
- 1835 (November): Die romantischeSchule ("The Romantic School", criticism)
- 1837 (July): Der Salon. DritterTeil ("The Salon III"), contains:
  - FlorentinischeNächte ("Florentine Nights", unfinished novel)
  - Elementargeister ("Elemental Spirits", essay on folklore)
- 1837 (July): Über den Denunzianten. EineVorredezumdrittenTeil des Salons. ("On the Denouncer. A Preface to Salon III", pamphlet)
- 1837 (November): Einleitungzum "Don Quixote" ("Introduction to Don Quixote", preface to a new

German translation of Don Quixote)

- 1838 (November): Der Schwabenspiegel ("The Mirror of Swabia", prose work attacking poets of the Swabian School)
- 1838 (October): ShakespearesMädchen und Frauen ("Shakespeare's Girls and Women", essays on the female characters Shakespeare's tragedies and histories)
- 1839: Anno 1839
- 1840 (August): Ludwig Börne. EineDenkschrift ("Ludwig Börne: A Memorial", long prose work about the writer Ludwig Börne)
- 1840 (November): Der Salon. VierterTeil ("The Salon IV"), contains:
    - Der Rabbi von Bacherach ("The Rabbi of Bacharach", unfinished historical novel)
    - Über die französischeBühne ("On the French Stage", prose criticism)
- 1844 (September): NeueGedichte ("New Poems"); contains the following sections:
    - NeuerFrühling ("New Spring", originally published in 1834)
    - Verschiedene ("Sundry Women")

- Romanzen ("Ballads")
- ZurOllea ("Olio")
- Zeitgedichte ("Poems for the Times")

it also includes Deutschland: EinWintermärchen ("Germany: A Winter's Tale", long poem)

- 1847 (January): Atta Troll: EinSommernachtstraum ("Atta Troll: A Midsummer Night's Dream", long poem, written 1841-46)
- 1851 (September): Romanzero; collection of poems divided into three books:
    - ErstesBuch: Historien ("First Book: Histories")
    - ZweitesBuch: Lamentationen ("Second Book: Lamentations")
    - DrittesBuch: HebräischeMelodien ("Third Book: Hebrew Melodies")
- 1851 (October): Der Doktor Faust. Tanzpoem ("Doctor Faust. Dance Poem", ballet libretto, written 1846)
- 1854 (October): VermischteSchriften ("Miscellaneous Writings") in three volumes, contains:
    - Volume One:
        - Geständnisse ("Confessions", autobiographical

work)

- Die GötterimExil (“The Gods in Exile”, prose essay)
- Die Göttin Diana (“The Goddess Diana”, ballet scenario, written 1846)
- Ludwig Marcus: Denkworte (“Ludwig Marcus: Recollections”, prose essay)
- Gedichte. 1853 und 1854 (“Poems. 1854 and 1854”)

- Volume Two:
  - Lutezia. ErsterTeil (“Lutetia I”, collected journalism about France)
- Volume Three:
  - Lutezia. ZweiterTeil (“Lutetia II”, collected journalism about France

(1)

في حياتي المظلمة تماما؛
تألقت، ذات مرة، صورة حلوة واحده؛
صارت الآن شاحبة؛
وأنا بكاملي مغلف بالليل.

***

عندما يكون الأطفال في الظلام؛
تنقبض صدورهم؛
وكي يدرأوا الخوف عنهم؛
يغنون أغنية ذات صوت جهير.

***

صبي جسور أنا؛ أغني؛
رغم أنه في الظلام؛
تفقد هذي الأغنية البهجة أيضا؛
رغم أنها قد حررتني من الخوف بالفعل.

(2)

لا أدري؛ ماذا يمكن أن تعني،
شدة حزني؛

حكاية من أزمنة قديمة؛
ترفض أن تبرح الذاكرة!؟

***

الهواء بارد والظلام يخيم؛
وهادئا يتدفق الراين[1]:
قمة الجبل تضوي؛
تحت التماعة شمس الغروب.

***

أجمل العذراوات تتربع؛
رائعة في الأعالي هناك؛
تتألق حليتها التي من نضار؛
وهي تمشط شعرها الذهبي.

***

بمشط من الذهب تمشطه؛
بينا تترنم بأغنية؛
ساحرة؛
عاتية النغمة.

***

البحّار في الزورق الصغير؛
ينتابه شوق وحشي؛
فيعمى عن شعاب الصخور التي تحته؛
ويحدق ناظرا لأعلى فحسب[2].

(1) نهر الراين.
(2) كي يرى هذه السيريناذة / العذراء / عروس البحر التي فتنته واقتنصته بجمالها وسحر صوتها.

أظن أن الأمواج تبتلع؛
البحار وتبتلع الزورق في النهاية؛
وأن غناءها قد تسبب؛
في حدوث ال لورا- لاي[3].

***

فؤادي؛ فؤادي حزين؛
ورغم ذلك يتألق مايو مرحا:
(وأنا) واقف مستند إلى الزيزفونة؛
عاليا فوق الحصن العتيق.

***

هنا في الأسفل يسيل الخندق المائي الأزرق؛
محيطا بالمدينة في سكينة هادئة؛
غلام يبحر في زورق؛
يصطاد بالصنارة ويصفِّرّ في نفس الوقت.

***

على الجانب الآخر في ود تنهض؛
متواضعة ومبرقشة؛
بيوتُ المتعة؛ والحدائقُ؛ والبشرُ؛
والثيران؛ والمروج؛ والغابة.

(3) Die Lore -Ley أسـطورة ألمانية شهيرة عن سـيرنه/ حورية تعيش في الراين وتستدرج البحارة بصوتها الجميل ثم تتركهم يغرقون. وهي مشـابهة لما ورد في الأوديسـة عن سيرينيات أوديسيوس وغوايتهن للبحارة. وقد ألف هاينه قصيدة مستقلة ذاعت شهرتها بهذا العنوان. ومن الواضح استلهام هذه الأسـطورة الألمانية لأسطورة سيرينيات الأوديسة وبما يعكس ذلك التأثير الإغريقي المتسرب في أرجاء الأساطير الأوروبية من جهة. ومن جهة أخرى ذلك الطابع المشترك للخيال البشري في أساطير وخرافات البحار والصيادين حتى غير الأوروبيين منهم وهو موضوع بحث مهم في علم الأساطير والأدب الشعبي المقارن. [المترجم]

(3)

الخادمات يبيّضن الغسيل؛
ويتقافزن على العشب في كل اتجاه:
عجلة الطاحونة تنثر قطعا (من الماس)؛
وأسمع أزيزها القادم من بعيد.

***

على البرج الرمادي القديم؛
ينهض كشك صغير؛
صبي بتنورة حمراء؛
يسير صاعدا وهابطا هناك.

***

إنه يلعب ببندقيته؛
التي تضوي في حمرة الشمس؛
يستعرضها ويشدها على كتفه –
(شدّ ما) أردت أن؛ يرديني قتيلا.

(4)

في الغابة أتجول وأنا أبكي؛
عصفورة الخنّاق[4] تجلس عاليا؛
تقفز وتغني بعذوبة تامة:
«لم أنت موجوع هكذا»؟

***

(4) Die Drossel بالألمانية هو طائر الخنّاق أو blue bird، ومعناها أيضا فوهة أو عنق البندقية. حيث يستخدم الشاعر ذلك في تورية مزدوجة المعنى. أي عندما يتحدث عن ذلك الطائر في الغابة فهو يشير أيضا في الوقت نفسه إلى فوهة البندقية المصوبة بيد الصبي في الفقرة السابقة.

«السنونوات؛ أخواتك؛
يستطعن إخبارك؛ يا طفلي؛
فقد أقمن في أعشاش ذكية؛
حيث نوافذ المحبين الصغار».

(5)

الليلة عاصفة رطبة؛
والسماء خالية من النجوم.
في الغابة تحت أشجار تخشخش؛
أتجول صامتا هنا وهناك.
ضوء خافت يومض من بعد؛
(منبعثا) من بيت الصياد المهجور؛
لا ينبغي أن يغريني بدخوله؛
فهو يبدو كدِرا هناك.

***

إنها الجدة الضريرة تجلس؛
هناك على مقعد جلدي ذو مسند؛
ساكنة جامدة؛ كتمثال حجري؛
ولا تنبس بكلمة واحدة.

***

يصعد ويهبط لاعنا؛
ابن الخفير أحمر الرأس؛
يقذف الحائط بالعلبة الصفيح[5]؛
ضاحكا في سخط وفي ازدراء.

***

(5) كلمة Buechse بالألمانية تعني: علبة؛ كما تعني بندقية. والشاعر هنا يلعب بالمعنى المزدوج أيضا عطفا على إشارته السابقة للبندقية في يد الغلام.

الغازلة الجميلة تبكي؛
وترطب الكتان بالدموع؛
فينهنه عند قدميها؛
كلب الأب «الداكس[6]» ويلتصق بها.

(6)

بمجرد أن عثرت بمحض الصدفة أثناء الرحلة؛
على عائلتي الحبيبة؛
الأخت الصغيرة والأب والأم؛
عرفوني ورحبوا بي.

***

استفسروا عن أحوالي؛
وعلى الفور قالوا نفس الشيء:
«إنني لم أتغير كثيرا؛
فقط علا وجهي بعض الشحوب».

***

سألت عن العمات - الخالات - وأبنائهن؛
عن بعض الرفاق المملين؛
وعن الجرو الصغير؛
بنباحه الرقيق.

***

سألت عن الحبيبة التي عقد قرانها كذلك؛
سألت عرضا؛

(6) نوع أليف من الكلاب الألمانية الجميلة. [المترجم]

فتلقيت إجابة رقيقة؛
«إنها رقدت على سرير الولادة».

***

بمودة هنأت؛
وتمتمت هامسا بلطف:
من الواجب أن يصلها مني؛
من القلب ألف تحية.

***

قاطعتني الأخت الصغيرة مقاطعة صائحة:
«أصار الصغير الرقيق؛
كبيرا وجُنّ؛
وأغرق في مياه الراين».

***

الصغيرة تشبه حبيبتي؛
لاسيما حين تضحك؛
فلها نفس العيون؛
التي جعلتني تعِسا.

(7)

جلسنا في منزل الصياد؛
وتطلعنا إلى البحيرة؛
أقبلت غيوم المساء؛
وارتقين إلى أعلى.

***

في الفنارة؛ تشعل الأضواء؛
بالتدريج؛

وفي المسافة البعيدة؛
تم اكتشاف سفينة أخرى.

***

تحدثنا عن العاصفة وعن غرق السفينة؛
عن البحار وكيف يعيش؛
بين السماء وبين الماء؛
ويتأرجح بين الخوف وبين الفرح.

***

تحدثنا عن شواطئ بعيدة؛
عن الجنوب وعن الشمال؛
وعن الشعوب الغريبة؛
وعن تقاليد عجيبة هناك.

***

في الممر تضوّع الجو وأضاء،
أوهرت الأشجار الضخمة.
وأناس حلوة؛ هادئين؛
انحنوا راكعين أمام زهور اللوتس.

***

في أرض اللاّبيين(7) يعيش بشر قذرون؛
قصار برؤوس مسطحة؛ وأبواز عريضة:
يقرفصون حول النار؛ ويخبزون(8)؛
سمكهم؛ ويصرصعون ويصرخون.

***

(7) Lappland أرض موحشة في الشمال الأوروبي. [المترجم]
(8) قصدا من الشاعر استخدم كلمة backen بمعنى يخبز؛ ولم يستخدم كلمة kochen بمعنى يطبخ. ربما احتقارا لبدائية هؤلاء القوم وهمجيتهم. [المترجم]

الفتيات باهتمام أصخن السمع؛
وفي النهاية لم ينطق أحد كلمة؛
فالسفينة لم تعد تُرى؛
وخيم الظلام كاملا.

***

يا بنية الصياد الجميلة؛
سوقي الزورق إلى الأرض؛
تعالي إلىّ واجلسي بقربي؛
سوف نتعانق واليد في اليد.

***

ضعي رأسك الصغير على صدري؛
ولا تخافي هكذا كثيرا؛
ثقي بنفسك ولا تأبهي؛
بالنهر المتوحش كل يوم.

***

قلبي يشبه النهر تماما؛
فلديه العاصفة؛ والمدّ والجزر؛ والفيضان؛
وبعض اللآلئ الجميلة؛
ترقد في أعماقه ساكنة.

***

بزغ القمر؛
وغمر الضياء الموج؛
أمسكت حبيبتي الصغيرة محتضنا؛
وقلوبنا تضطرم.

***

في ذراع الطفل العذب؛
سوف أستريح وحيدا على الشاطئ؛
ما الذي تصيخين السمع إليه في هزيم الريح؟
ما الذي يصيب يدك البيضاء بالرعشة؟

***

ذلك ليس هزيم الريح؛
بل غناء عذراء البحيرة؛
وشقيقاتي هن اللواتي؛
ابتلعهن اليمُّ ذات يوم.

***

الريح ترتدي سراويلها:
(من) أعاصير الماء البيضاء[9].
الريح تجلد الأمواج بأقصى ما تستطيع؛
فيعولن ويهدرن ويزمجرن.

***

من علوٍّ مظلم؛ بقوة متوحشة؛
تنهمر السيول؛
كأنها الليلة العجوز؛
تريد أن تغرق النهر الطاعن في السن [10].

***

(9) صورة شعبية لأعمدة الماء المندفعة من البحر صاعدة لأعلى وهي تزيد وترغي بقوة شديدة. ومنها جاءت كلمة Wasserhosen الألمانية ومعناها الحرفي: سراويل المياه / بناطيلها.
(10) هنا يستخدم الشاعر الكلمة نفسها alte ومعناها عجوز. لكننا فضلنا التنويع في الترجمة نظرا لثراء العربية ووفرة مترادفاتها فترجمناها مرة: عجوز ؛ والمرة الأخرى «الطاعن في السن» من أجل التنويع فربما كان ذلك أجمل في لغتنا. [المترجم]

على صارية السفينة تعلّقت النورسة متشبثة؛
وبصراخ بشع وصياح حاد؛
رفرفت مهتاجة من ذعرها الشديد تريد أن؛
تنذر بالكارثة.

***

العاصفة تعزف داعية للرقص؛
تصفر وتعصف وتزمجر؛
هايسا؛ مثلما تقفز السفينة الصغيرة!
الليلة متوحشة مرحة[11].

***

جبال مياه حيّة؛
شكلتها الرياح الهادرة؛
هنا تتثاءب الهاوية (اللّجية) السوداء؛
(و) هناك بعيدا، تتكدس في الأعلى،

***

لعنات؛ قيء؛ صلوات؛
تنطلق من الكابينة خارجة؛
تشبثتُ بالصارية بشدة؛
وتمنيت لو أني في المنزل كنت.

***

المساء يتراجع منسحبا؛
الغيوم تغطي البحيرة،

(11) في الأصل: الليلة مرحة ومتوحشة. [المترجم]

وفي غموض تهدر الأمواج؛
بيضاء ترتفع إلى الأعلى.

***

ينشق الموج عن عروس البحر،
فتتخذ على الشاطئ مجلسها بجواري؛
يندفق النهدان الأبيضان؛
من داخل الثوب الشفيف.

***

تهصرني وتعصرني؛
وتكاد توجعني؛
إنك تهصرينني بشدة؛
يا حورية الماء الجميلة!

***

«أهصرك بين ذراعيّ؛
وأضغط عليك بقوة؛
لأنني أريد أن أشعر بالدفء معك؛
فالمساء قارس البرد».

***

دائما يبدو القمر أكثر شحوبا؛
في الغسق وهو يطل من الارتفاع الملبّد بالغيوم.
عينك تمسي متعكّرة مبتلّة؛
أيتها الحورية الجميلة!

***

«ليست مبتلة ولا معكّرة؛
إن عيني مبتلة وغائمة.

لأنني مذ خرجت من الماء؛

ظلت قطرة (منه) باقية في العين».

***

النوارس تصرخ شاكية وبحدّة؛

يدمدم قلبك حارقا البحر

يخفق يتحرك في وحشية؛

يا حورية الماء الجميلة.

***

«قلبي يخفق يتحرك في وحشية؛

قلبي يرتجف ويتحرك في وحشية؛

لأني أحبك حبّا يجلّ عن الوصف؛

يا شبيهة البشر اللطيفة!

***

عندما أمر على دارك

في الصبح؛

أُسرُّ، يا صغيرتي العزيزة؛

مثلما أفرح وأنا أشهدك من النافذة[12] تطلّين.

***

بعينيك البنيتين السوداوين

ترينني باحثا:

(12) في الأصل: من نافذتك.

من أنت، وما الذي تفتقده،
أيها الرجل، المريض، الغريب؟

***

إنني شاعر ألماني،
معروف في ألمانيا؛
(و) عندما يذكر الناس الأسماء الأفضل،
يُذكر اسمي أيضا.

***

والذي أفتقده، يا صغيرتي،
هو ما يعوز البعض في الأرض الألمانية؛
(و) عندما يسمي المرء أسوأ الأوجاع،
تُذكر أوجاعي أيضا».

***

البحر بعيدا ينشر في كل الأنحاء بريقه،
مع شعاع المساء الأخير؛
جلسنا عند بيت صياد وحيد،
جلسنا وحدنا بُكْمَا.

***

الضباب ارتفع، (و) فاض الماء،
النورسة طارت وحلقّت وعادت؛
فتحدر من عينيك الوضاءتين،
الدمع.

***

رأيته منهمرا فوق يديك،
وهبطت على ركبتي راكعا.
ظللت أشرب الدموع.
مذ تلك الساعة وذوى جسدي،
الروح مات من الشوق.

***

تلك الأنثى التعسة،
سمّمتني بدمعها.

***

عاليا هنالك فوق ذاك الجبل،
ينهض حصن منيع،
تسكن فيه ثلاث أوانس حلوة،
معهن استمتعت بحب.

***

قبلت يِتّا يوم السبت،
وقبلت جوليا يوم الأحد،
وعانقت كونيجوندا يوم الإثنين،
وسحقتني تقريبا.

***

حقا كان يوم الثلاثاء مهرجانا بالفعل.
مع آنساتي الثلاث في القصر؛
حيث أقبلت الجيرة - سيدات وسادة،
بالعربات وعلى متن الجياد.

***

لكنني لم أكن مدعوا،
وقد جعلكم ذلك تتصرفون بحمق؛
العمات والخالات وبنات العم وبنات الخال المتهامسات لاحظن؛
ذلك وضحكن.

***

في الأفق البعيد تلوح،
المدينة بأبراجها؛
فتبدو كصورة ضباب،
مغلّف بالشفق.

***

تيار ريح عاصف حطّم،
مجرى المياه الرمادي،
وبإيقاع حزين جدّف،
البحار في قاربي.

***

الشمس ترتفع مرة أخرى،
مشعة من الأرض إلى أعلى،
وتريني ذاك الموقع،
حيث فقدت العزيزة.

***

(8)

حُيِّيتِ منّي، أيتها المدينة،
الكبيرة المليئة بالأسرار،

والتي في حجرها ذات يوم،
ضمّت محبوبتي الصغيرة لي.

***

بلّغي، برجك وبواباتك:
أين تلك التي أحببتها أشد الحب؟
لقد ائتمنتكم عليها،
وكان عليكم أن تكونوا كفلائي[13].

***

الأبراج بريئة،
فلم يكن بمقدورها فعل شيء،
عندما هجرت المدينة بالحقائب والصناديق،
مسرعة في عجلة من أمرها.

***

أما البوابات؛ التي تركَتْ،
حبيبتي الصغيرة تتسلل في هدوء تام؛
فأحدها ممتثل دائما؛
لو أرادت (ذلك) امرأة حمقاء!

(9)

هكذا أعاود التجوال في الطريق القديم،
(في) الحارات المألوفة (لي) جدا؛
أجيء من بيتي الحبيب،
الذي يقف خاليا تماما ومهجورا.

***

(13) (أن تتعهدوا بالحفاظ عليها). أن تحافظوا على الأمانة. [المترجم]

الشوارع ضيقة شديدة الضيق،
رصفها لا يطاق!
البيوت تسّاقط فوق رأسي،
أسرع الخطو بأقصى طاقتي!

(10)

أدلف داخل تلك الصالة،
حيث وعدتني مخلصة:
عندما هطلت دموعها ذات يوم،
زحفت الأفاعي خارجة منها.

(11)

هادئ هو الليل، (و) الحارات ساكنة،
في هذا المنزل أقام كنزي،
(التي) فارقت المدينة منذ زمان بعيد،
ورغم ذاك لايزال المنزل في المكان نفس قائما.
هنا أيضا يقف إنسان ويحدق عاليا،
وهو يفرك يديه يائسا،
يقِفُّ شعر رأسي عندما أرى وجهه.
فالقمر يريني وجهي أنا.

***

أنت يا صورة مِنّي (يا شبيهي)، أنت أيها المرافق الشاحب!
فيم تقلّد وجيعةَ حبي،
الذي طالما عذبني في هذا المكان،
لياليَ كثرا في زمان قديم؟

***

(12)

كيف يمكنك أن تنام هادئا،
وتعرف أنني مازلت أحيا،
الغضب القديم يعاود المجيء،
وسوف أحطّم نيري.

***

أتعرف تلك الأغنية الصغيرة القديمة:
كيف تمكّن ولد ميت،
عند منتصف الليل أن يجلب الحبيبة،
إليه في القبر؟

***

صدقني، أيها الفاتن،
أيها الطفل الساحر،
إنني أحيا ومازلت أقوى،
من جميع الميتين!

(13)

العذراء تنام داخل الغرفة الصغيرة،
(و) القمر يبدو مرتعشا في الداخل؛
هناك في الخارج يغني وينبعث رنينه،
كأنه أنغام فالس!

***

أريد أن أرى من النافذة مرّة،
من ذا الذي من تحتها يزعج سكينتي،

هنا يقف هيكل عظمي لميّت،
يمرح ويغني كذلك.

***

هل وعدتِني قديما برقصة،
ثم لم تفِ بوعدك،
واليوم حفل راقص في فناء الكنيسة،
تعالي معي، ولسوف نرقص هناك.

***

العذراء تمسك به بقوة،
يغريها بالخروج من المنزل؛
تتبع الهيكل العظمي، الذي يخطو مُغنّيا،
مرِحا نحو الخارج.

***

إنه يمرح ويتراقص، ويتحنجل،
ويقرقع بعظامه،
ويومئ، يهز الجمجمة للتحية،
بشكل مرعب في ضوء القمر.
وقفتُ في أحلام مظلمة،
وحدّقتُ في صورتها،
فبدأ الوجه الحبيب،
خِفْية يعاود الحياة.

***

إلى شفتيها تسللت،
ابتسامةٌ ساحرة،

وكأن دموع الحسـرة تمـلأها،
لمعت كلتا عيناها.

***

تدفق دمعي كذلك،
وتحدر فوق فوق الخدين –
وآه؛ كيف أصدق،
أني فقدتك!

(14)

إنني أطلس التعيس! وإنه لعالم،
كل عالم الآلام عليّ أن أحمله،
إنني أحمل ما لا يحتمل، ويريد،
أن يكسر قلبي في الجسد.

***

أيها القلب المتكبر أنت، قد أردتها،
أردت أن تكون محظوظا؛ محظوظا بلا نهاية،
أو أن تكون بائسا بلا نهاية، أيها القلب المتكبر،
بائس أنت الآن.

(15)

تأتي السنين وتنصرم؛
الأجناس تقف في القبر،
لكن الحب لا يفنى أبدا،
الحب الذي حملته في قلبي.

مرة واحدة فحسب أودّ أن أراك،
وأن أخرّ راكعا على ركبتي أمامك،
وأن أموت شوقا للحديث معك.
سيدتي، أنا أحبك[14].

(16)

حلمت بالقمر أطل حزينا،
وحزينة بزغت النجوم.
حُملت إلى المدينة؛ حيث تقطن الحبيبة،
على بعد أميال كثيرة.

***

أرشدت إلى منزلها،
لثمت حجارة الدرج،
التي كثيرا ما لامست قدمها الصغيرة،
وأطراف ثيابها.

***

كانت الليلة طويلة، كانت الليلة باردة،
والنجوم قارسة البرد كانت.
ومن النافذة أطلّ الشكل الشباك،
بشعاع القمر مُضاء.

(14) كلمة «سيدتي» كتبها الشاعر هنا بالإنجليزية: Madam. كما خاطبها بضمير الجمع Sie الذي يعبر عن احترام المتحدث للمخاطَب؛ مثلما يعبر عن المسافة المعنوية – أو الاجتماعية – أو العمريـة التي تفصل بين المخاطِب والمخاطَب. وذلك على رغم أنه قد سبق أن خاطبها بضمير المفرد du ربما ليأسه أو لمفارقتها إياه بالموت وقد أصبحت في عالم حقيقي خالد يشعره بتلك المسافة وبالرهبة كذلك. [المترجم]

(17)

ماذا تريد الدمعة الوحيدة؟
لقد كدّرتني بالفعل،
حين ظلت من زمان قديم؛
باقية في عينيّ لاتزال.

***

لديها أخوات كثيرات مضيئات،
كلهن توارين عن الأنظار،
بكافة أوجاعي ومسراتي،
في الليل وفي الريح توارين.

***

كمثل الضباب كذلك،
تلاشت النجوم الصغيرة الزرق،
اللائي أدخلن مسرات ولوعات باسمات،
بالفعل إلى قلبي.

***

آه، لقد ذاب حبي،
نفسه مثل نسمة مختالة!
أنت أيتها الدموع الوحيدة القديمة،
تلاشي من الآن أنت كذلك.

(18)

القمر الخريفي الشاحب،
اتخذ مجلسه (مستعرِضا) خارج السحاب؛

وحيدا تماما يستقر بيت القسّ،
فوق ساحة الكنيسة.

***

الأم تقرأ في الكتاب المقدس،
(و) الابن يحدّق في الضوء،
مثقلة بالنعاس تمددت الكبرى،
الصغيرة تتكلم:

***

آه، يا ربي كيف تمر الأيام مملّة،
على المرء هنا،
فقط عندما يدفنون ميتا،
نحظى بشيء (يصلح) للرؤية.

***

الأم تقول أثناء القراءة،
إنك مخطئة، لم يمت سوى أربعة،
مُذ دفنا والدك،
هناك على باب فناء الكنيسة.

***

تثاءبت الأخت الكبرى:
لا أريد أن أموت من الجوع معكم.
غدا سوف أذهب للكونت،
فهو هناك ثري وعاشق.

***

ينفجر الابن من الضحك (يقول):
ثلاثة صيادين على ظهر الكوكب سكروا،
إنهم يصنعون ذهبا ويعلموني،
السرّ بأريحية.

***

بالكتاب المقدس قذفته الأم،
في وجهه الأعجف:
هكذا تريد، أن تكون لاعنا للرب،
(أن تكون) قاطع طريق!

***

على النافذة سمعوا طرقا،
ورأوا يدا تلوَح وتشير،
وفي الخارج يقف الأب الميت،
مرتديا ثوبا وعظيا أسود.

(19)

هذا طقس سيئ،
تمطر وتعصف ويسقط الجليد،
فيما أنا أجلس عند النافذة وأنظر،
للخارج في الظلمة.

***

يومض بصيص ضوء وحيد هنا،
يتحول قُدُما وببطء،

لأم صغيرة في يدها المصباح الصغير
وفي الشارع تترنح.

***

أظنه، طحينا وبيضا،
وزبدا، ابتاعتهم؛
كي تخبز للبنية؛
الكبرى فطيرة.

***

ترقد في المنزل على كرسي ذي مسند،
ترمش في الضوء بطرف عينها وهي تغالب النعاس،
الخصلات الذهبية تتهدل،
فوق الوجه الحلو.

(20)

يحسبني الواحد مغتمّا،
في لوعة عشق مُرّ،
وآخر الأمر أظنني مصدقا لذلك،
جيدا وتماما كما الآخرين.

***

أنت يا صغيرة بعيون كبيرة،
طالما قلتها لك؛
إنني أحبك حبا يجلّ عن الوصف،
ذلك الحب الذي هزَّأ قلبي.

***

هكذا فقط في غرفة صغيرة وحيدة،
تحدثتُ بطريقة ما،
وبعد ذلك، التزمت الصمت دائما،
في حضورك.

***

هنا وُجِدَتْ أرواح شريرة[15]،
أغلقوا فمي،
وبعدها! وبأرواح شريرة،
صرت على الدوام بائسا.

(21)

أصابعك اللدنة الليلكية،
مرة أخرى يمكنني أن ألثمها،
وأن تضغط هي على قلبي،
وفي بكاء صامت نفنى.

***

عيناك البنفسجيتان الرائقتان،
تحلّقان أمامي ليل نهار،
ويعذّبني أن أعرف ماذا تعنيه،
تلكما الحلوتان الزرقاوتان المملوءتان بالألغاز؟

***

(15) böse Engel في الأصل.

(22)

«هل أفصحتَ مطلقا،
عن ذاتك الحبيبة؟
ألم تستطع في عيونها،
أبدا أن تقرأ حبا آخر ينافس؟

***

ألم تتمكن أبدا من النفاذ في عيونها،
فتغوص إلى الروح؟
وأنت لست حمارا، نعم،
يا صديق الغالي، في هذه المسائل».

(23)

لقد أحبّا بعضهما، و(لكن) لا يريد أحد منهما،
أن يعترف بذلك للآخر؛
إنهما يتبادلان النظرات في عداوة شديدة،
ويريدان أن يموتا من الحب.

***

لقد انفصلا عن بعضهما أخيرا،
إلا أحيانا في الحلم،
فقد كانا ميتين منذ مدة طويلة،
ونادرا ما فطنا لذلك.

***

(24)

وبمجرد أن شكوت لكم آلامي،
تمطيّتم ولم تقولوا شيئا،
تماما كما لو كنت أسمعكم شعرا لطيفا،
وهكذا صنعتم لي مرثية هائلة.

(25)

ناديت الشيطان وجاء،
وبكل الدهشة شاهدته،
فليس كريها، وليس بأعرج،
بل هو رجل لطيف، جذاب.

***

رجل في أفضل سنوات العمر،
ملتزم وخلوق ذو إلمام بالدنيا،
ديبلوماسي حاذق،
وبإنصاف يتحدث عن الكنيسة وعن الدولة،
شاحب شيئا ما، لكن لا غرابة في ذلك.

***

يدرس السنسكريتية وهيجل، منذ الآن فصاعدا،
(و) لايزال «فوكيه»[16] شاعره المحبوب،
رغم أنه لا يريد أن يشغل نفسه بالنقد أكثر من ذلك،

---

(16) Friedrich Heinrich Karl de la Motte, Baron Fouqué (12 February 1777- 23 January 1843) wasa
شاعر وكاتب ينتمي إلى المدرسة الرومانية وشهرته البارون فوكيه

فقد تخلى عنه نهائيا،
للجدة الغالية «هيكات»[17].

***

لقد مدح طموحي القانوني،
فقد انشغل به أيضا في باكورة عمره.
قال إن صداقتي،
ليست عزيزة عليه، وأومأ برأسه،
واستفسر: عما إذا كنا منذ زمن طويل،

***

لم نر بعضنا، ذات مرة مع الوزراء المفوضين الإسبان؟
وبمجرد أن تأملت وجهه جيدا،
وجدت فيه واحدا من معارفي القديمة.

***

أيها الإنسان، لا تهزأ بالشيطان،
فطريق الحياة حقا قصير،
والهلاك الأبدي،
ليس مجرد وهم للغوغاء.

***

(17) تروي الأساطير قيام هليوس الإله المجسد للشمس وضوئها وحرارتها بجولة يومية عبر السماء، فيخرج صباحا من جهة الشرق ليضيء الكون وينشر الدفء، ويرتقي كل صباح في قبة السماء على عربته الذهبية المجنحة، ويغيب مساء في البحر، وكان الإله الوحيد القادر على رؤية وجه الأرض كله، وتم تصويره في اللوحات المكتشفة كإله رائع الجمال تكلل جبينه هالة مشعة وهو واقف على عربته. وفي إحدى المنحوتات المعروضة في المتحف الوطني في دمشق يظهر الإله هليوس إله الشمس في نحت نصفي نافر تحيط برأسه هالة نور مشعة ويحيط إطار زخرفي بمكونات اللوحة، وإلى الأسفل «شاهدة» نصفية لسبعة رؤوس بشرية، اثنان من الرؤوس متقابلان فيما البقية تتجه بأنظارها نحوهما. ويلاحظ أن هذه الهالة القدسية التي تحيط برأس «هليوس» انتقلت تاليا إلى العصر البيزنطي، وأصبحت تحيط برأس السيد المسيح والسيدة مريم العذراء وجميع القديسين. سناء هاشم

سدد ديونك أيها الإنسان،
طويلة هي الحياة حقا،
وعليك أن تعاود الاقتراض أحيانا،
مثلما فعلت كثيرا.

(26)

الملوك المقدسون الثلاثة من الشرق،
سألوا في كل مدينة صغيرة:
عن الطريق إلى بيت لحم،
سألوا أطفالهم وبناتهم العزيزات؟

***

(لكن) الشبان وكبار السن لم يعرفوهم،
الملوك مضوا قدما؛
اتبعوا نجما ذهبيا،
كان يتألق جميلا ومرحا.

***

ظل النجم باقيا على بيت يوسف،
وهنالك دخلوا؛
خارت الثيران والطفل الصغير صاح،
صدح المقدسون الثلاثة بالغناء.

(27)

كنا أطفالا، يا ولدي،
طفلين، صغيرين وفرحين؛
زحفنا في عشش الدجاج،
ودسسنا أنفسنا في القش.
وصحنا مثل الديكة،

***

ومر بنا ناس -
بقرات بصياح الديكة، ظنّوا،
أن هنالك ديوكا ذات صراخ!

***

الصناديق في فنائنا،
التي كسوناها،
وسكنا معا فيها،
وبيتا أنيقا بنينا.

***

قطة الجار، تلك العجوز،
(التي) كثيرا ما جاءتنا زائرة:
انحنينا احتراما لها؛ واحتفاء بها؛
وكثرة من المجاملات قدمنا لها.

***

سألنا عن أحوالها،
باهتمام ومودة؛
ومنذ ذاك الحين،
قلنا نفس الشيء لقطط كثار عجائز.

(28)

قلبي منقبض، ومشوق،
أفكّر في الأيام الخالية،
حيث الدنيا كانت (على عهدها) لاتزال مريحة،
وعاش فيها الناس هادئين.

***

كل شيء يبدو الآن كأنه تغير،
إنه تزاحم! عوز!
الأعالي تخلت عنا[18].
ومات الشيطان على الأرض.

***

كل شيء يبدو عابسا جدّ غائم،
مكدّرا مختلطا فاسدا وباردا.
كما لو أقل قدر من الحب راح،
لا يخلو من ذلك أي مكان دون توقف.

***

(18) Gestorben Ist der Herrgott oben هــذه هي الجملة الألمانية وقد ترجمناها إلى العربية بتصرف. [المترجم]

(29)

مثلما يدفع القمر نفسه مضيئا،
خلال كومة من السحاب مظلمة،
هكذا تبرز لي من بين الأوقات المظلمة،
صورة مضيئة.

***

جلس الجميع على ظهر السفينة،
منحدرين بفخر مع الراين[19]،
والشاطئ الصيفي الأخضر،
يتوهج في ضوء شمس المساء.

***

متأملا جلستُ عند قدمي،
سيدة، جميلة وعذبة؛
على طلعتها الشاحبة،
يتلاعب ذهب الشمس الأحمر.

***

أنغام صدحت، أولاد غنّوا،
بهجة رائعة!
والسماء غدت أكثر زرقة،
والروح هامت بعيدا.

***

بشكل أسطوري مرقَ،
الجبل والقلاع، الغابة والمرج؛

(19) نهر الرين.

وكل شيء رأيته متألقا،
في عين السيدة الحلوة.

(30)

في الحلم رأيت الحبيبة،
أنثى خائفة مهمومة،
الجسَد الذي كان شديد النضرة،
تداعى وذبل.

***

كانت تحمل طفلا فوق ذراع،
والآخر تسحبه باليد،
ملحوظا كان الفقر وكان الغمُّ،
في الحركة والنظرة والثوب.

***

كانت تتطوّح في مشيتها بالسوق؛
وهناك تلاقينا وجها في الوجه،
نظرت لي، قلت لها بهدوء،
وألم:

***

تعالي للبيت معي،
لأنك شاحبة ومريضة؛
وأريد خلال الجهد خلال العمل،
أوفّر لك قوتا وشرابا،

***

وأريد كذلك أن أرعاك وأنتظر،
الأطفال معك،
أنت نفسك قبل كل شيء،
أيتها الطفلة البائسة.

***

لن أحكي لك أبدا،
أني قد أحببتك،
أو أني حين تموتين سأبكي،
عند القبر.

(31)

صديقي العزيز، ماذا يمكنني أن أربح،
من عزف الأغنية الغابرة دوما؟
تريدك أن تقعد أبدا،
(منتظرا أن يفقس) بيض غرام ولّى؟!

***

آه، ذلك بابٌّ أبديٌّ،
تتسلل منه (ال) أفراخ (ال) زّاحفة،
تزقزق، وترفرف،
هل تأتي أنت فتوصده، كي تسجنها في (صفحات) كتيِّب؟!

(32)

عندئذ لن ينفد منك الصبر فحسب،
إذا ما بعض رنين الآلام الماضية،

ظل يدوّي مسموعا،
في أحدث الأغنيات.

***

ننتظر فحسب، ولسوف يجلجل،
رجع صدى وجعي[20]،
وربيع غناء جديد،
سينبت برعمه من خلال القلوب التي طُببّت.

(33)

حان وقت التعقل الآن،
كي أتخلص من كل الحماقات:
وقتا طويلا قضيته، كنت فيه ممثلا هزليا،
يلعب في ملهاة معك.

***

الكواليس الفخيمة تمّت صباغتها،
على نسق رومانسي رفيع،
معطف الفارس الذي كنت أرتديه يلمع ذهبيا،
فيما أرقّ المشاعر كانت تخالجني.

***

والآن تحررت تماما،
من اللعب النّزقة التافهةِ،

(20) في الأصل بصيغة الجمع / أوجاع Schmerzen: – والصيغتان مقبولتان – مفردا وجمعا – لكننا فضلنا صيغة المفرد مراعاة للإيقاع الموسيقي الشعري. [المترجم]

غير أني مازلت أشعر أني تعيسٌ،
كأنيَّ مازلت أمثّل في مهزلة.

***

آه يا رب! في الألم وفي عدم الوعي،
أحدّث عما خالجني من إحساس:
مع موتي الذاتي (الكامن) في صدري،
مثّلت دور المبارز الطموح.

(34)

(دور) الملك ويزواميترا[21]،
الذي أعد حملة دون راحة أو توقف،
راغبا من خلال قتال وكفارةٍ،
في الحصول على بقرة وازيشتاس.

***

آه، يا ملك ويزواميترا،
آه، أيّ ثورٍ أنت،

(21) عاش الملك باجوان ويزواميترا بعيدا عن مدينة أيوديا. وحين هجمت عليه قوات العمالقة ولم يكن لديه جيش يصدها؛ قصد أيوديا لطلب المساعدة من كلكها القوي لمطاردة العمالقة من سكان تاتساكا الذين كانوا يهددون حياة القرويين في بلده لفترة طويلة. كما أنهم كثيرا ما تسببوا في تلف الحقول وسرقة الماشية الخاصة بهم. وكان سكان القرية قد حاولوا محاربة العمالقة الذين كانوا أكبر بكثير من تلك القوات التي يملكها القرويون وقد فشلوا في صدهم كما فشلوا دائما. الأمر الذي جعل هؤلاء العمالقة أكثر شراسة. وبعد الاستماع إلى القصة أصبح الملك داساراتا حزينا. لكنه أمر أكبر أبنائه: راماويجايا، ولاكسامانا بوقف العمالقة وهزيمتهم برفقة قوات أيوديا، وذهبوا بالفعل إلى المعركة وتصدوا بعنف وشجاعة لجيش عمالقة تاتساكا. لكن العمالقة ربحوا المعركة على الرغم من مصرع ملكهم وازيشتاس على يد راماويجايا. وقد كتب هاينه هذه القصيدة القصيرة بعنوان Wiswamitra مستلهما – على طريقته – هذه الأسطورة. [المترجم]

لكي تقتتل طويلا وتكفِرِ عن ذنبك،
بالكلِ (تضحّي) من أجل مجرد بقرة!

(35)

قلبُ، يا قلبي، لا تكتئب،
وتحمّل نصيبك،
إن ربيعًا جديدا يعيد إليك،
الذي استحوذ منك عليه الشتاء.

***

وما أكثر ذاك الذي قد تبقى لديك!
وأجمل ما لاتزال عليه الحياة!
و، يا قلب كلَّ الذي راقك،
يمكن أن تعشقه كلَّهُ (من جديد)!

(36)

وكأنك زهرة،
عذبة جميلة ونقيّة،

(37)

أراك، والأسى،
يتسرب داخل قلبي.

***

بالنسبة لي، وكأن يدي؛
على رأسك يجدر بهما أن ترتاحا،

ضارعتين، إلى الله لكي يبقيك،
كذلك.

***

أيتها الطفلة، سيحلّ فناؤك يوما ما،
لكني لن أتوانى وسأبذل جهدي،
كي يبقى قلبك، لا يتضرج بالحمرة حُبّا،
من أجلي أبدا.

***

الذي قد تحقق لي طيّعا،
يريد أن يبادرني بالغّم،
فأتساءل أحيانا على الرغم مني؛
إذا ما كنت تحبينني؟!

(38)

عندما أرقد فوق الخشبة[22]،
فيِّ الليل يغلّفني كفني،
تحلق حول مخيلتي
صورة لطيفة عزيزة.

***

عندما تأخذني غفوة نوم ساكنة،
بالكاد فتغمض عينيّ،
تتسلل تلك الصورة هادئة،
داخل حلمي.

***

(22) يقصد الطاولة التي عليها يوضع جثمان الميت انتظارا لدفنه. [المترجم]

وفي حلم الصبح (تظلّ)،
ولا تتبدد أبدا؛
حتى أحملها في القلب،
طوال اليوم.

(39)

صبية بالثغر الأحمر الصغير،
بالعوينات الصغيرة، الحلوة الوضيئة،
أنت يا فتاتي الصغيرة العزيزة،
يشغل فكري أن أبقى ملكك طول العمر.

***

هذا اليوم مساء الشتاء طويلٌ،
وأنا أتمنى لو كنت معك،
أجلس في صحبتك، نثرثر،
داخل غرفة صغيرة آمنة.

***

الشفتان أردت أن أعصرهما،
يدك الصغيرة البيضاء،
أردت لو بالدمع كنت بللتها،
يدك الصغيرة البيضاء.

(40)

هنا في الخارج يمكن أن يتراكم الجليد (فيصبح بُرجا)،
يمكن أن تُسقِط بردًا، أن تعصف،

أن ترطمني مقرورا بالنافذة،
ولن أشكو أبدا.

***

(ذاك) لأني أحمل في الصدر،
صورة لطيفة ومزاج ربيع.

(41)

هناك من يصلّون للعذراء،
وآخرون لبولس القديس؛
لكني أريد أن أصلي لك،
لك أنت أيتها الشمس الجميلة، أنت فحسب.

***

هبيني قبلاتٍ، (و) هبيني بهجه،
كوني لي بركةً، كوني رحمه،
يا أجمل شمس بين الفتيات،
يا أجمل بنت تحت الشمس!

(42)

أفلا يكشف وجهي الشاحب،
لك عن أوجاع غرامي؟
أتريدين، لهذا الفمِّ المتكبر،
أن يعترف بكلمات استجداء؟[23]

***

(23) في النص الألماني: جاءت «كلمة» استجداء Bettelwort بصيغة مفرد.

آه، هذا الفم شديد الكبر،
فقطٍ يمكنه أن يلثم، أن يمزح،
أو أن يلفظ كلمة سخرية،
فيما أنا من وجعي ألفظ آخر أنفاسي[24].

(43)

ولْهانٌ أنت صديقي الغالي،
وستضنيك عذابات أحدثُ.
يُعتِم رأسك أكثر،
لكنّ فؤادك يصبح أكثر إشراقا!

***

صديقي الغالي أنت متيّم،
لكنك ترفض أن تعترف بذلك،
وأنا أشهد جمر فؤادك،
من خلل صديريتك، إذا يشتعل حريقا.

(44)

أردتَ أن أقيمَ لديك،
وأرتاح بناحيتك:
كان عليك إذن أن تستعجلَني،
كان لديك كثير يتطلّب أن يُنجز.

***

(24) في الأصل الألماني بينما أموت من آلامي.

أخبرتك: روحي،
يمكن أن تصبح خاضعة لك؛
فضحكت بملء الحلق،
رسمت بوجهك تقطيبة (شك في ذلك واستخفاف).

***

ولقد زدت،
همومي في الحب مضاعفة،
حين رفضت تماما،
أن تعطيني قبلة آخر توديع.

***

إياك تظنين بأني أقتل نفسي رميا برصاصه،
كيف الأوضاع تردّت أيضا؟!
ذلك يا حلوتي ما حدث،
بالفعل مرّةً.

(45)

عيناك ياقوتتان زرقاوتان،
محبوبتان، حلوتان،
وآه، ثلاث مرات: محظوظ،
رجل تلقين تحيتك إليه بحب.

***

قلبك جوهرة،
تشع ضوءا نبيلا.
وآه، ثلاث مرات محظوظ:
من يتوهج من عشقه.

***

شفتاك ياقوتتان حمراوان،
ليس أجمل منهما يمكن للمرء أن يرى،
وآه، محظوظ عدة مرات: رجل،
تعترفين له بالحب.

(46)

آه، هل سبق لي أن عرفت ذاك الرجل؟
آه، لو أعثر عليه فحسب،
وحيدا تماما وفي غابة خضراء،
إذن سوف تكون نهاية هذا الحظ[25] وشيكة.

***

بحديث في الحب،
شددت وثاقي لقلبك،
ضمّنته في خيوطك،
كي يصبح لي هزأة وبجد.

***

عندما، (و) بكامل الحق،
مستخفّة تتأين عني،
فإن قوى جهنم تقترب مني،
وأقتل نفسي جادا بطلقه.

(47)

فليتناثر (هذا) العالم كسفا وتصير الحياة شظايا،
فأنا أريد التحول أستاذا ألمانيا،

(25) في الأصل «نهاية حظه» [المترجم]

يعرف كيف يؤلف (كل) الحياة معا،
وكيف يُخرِّج منها نظاما جليّا. (وكيف يُسسْتِمُها في وضوح)؟[26].

***

بطاقية الليل (التي يرتديها) وخرَقٍ قميص ينام بهِ،
سيسدُّ الشقوق التي في بنية الكون.

(48)

منذ زمان طويل، نهارا وليلا،
ظللت أحطّم رأسي إعمالَ فكرٍ، وتقليبِ أمر،
إلى أن دفعتني عيونك (تلك) الودودة،
أن أحسم الأمر.

***

أظل أنا الآن، حيثما تتألق عيناك،
في بهائهما الألمعي الرقيق -
دون أن يخطر بالبال،
أنيّ مرة ثانية سأحب.

***

الليلة تأتسين بصحبة،
سيُغمر هذا المنزل بالضوء،

(26) أصل البيت الشعري بالألمانية هو Und er macht ein verstaendlich System daraus.. وقد وضعنا لها صياغتين عربيتين تحملان ذات المعنى الذي قصده الشاعر؛ وإن كنا نرى أن تعريب كلمة System اللاتينية الأصل - والتي صارت مستخدمة في العربية كما في جميع لغات العالم - وإخضاعها للاشتقاق العربي بصيغة الماضي «سستم»، والمضارع «يسستم» قد أصبح مستخدما ومقبولا حيث لا تفي كلمة «نظام» أو منهج أو طريقة للوفاء بمعناها الأصلي من وجهة نظرنا. [المترجم]

(لكنَّ) هنالك في النافذة الساطعة،
خيال يتحرك.

***

في الظلمة لن تبصرني عيناكِ،
وحيدا أقف هنا أسفل.
أما داخل ظلمة قلبي،
فالرؤية بالنسبة لك أصعب.

***

قلبي ذاك المظلم يهواك،
يحبك، يتصدّع،
يرتجف وينزف،
لكنك (أبدا) لا تبصرينه.

***

أردت لآلامي أن تتدفق (فتُصَبُّ)،
(وتتجسد) في كلمة.
(هي) واحدة لا غير أسلِّمها للريح[27] المرحةِ،
كي تذروها في خِفّه[28].

***

الريح يا حبيبتي، تحمل لك،
الكلمة التي تغصّ بالألم،

(27) جمع الشاعر كلمة ريح «WIND» بالألمانية فجعلها WINDEN. وعلى ذلك أشار إليها بصيغة الجمع في المقطع التالي؛ بينما فضلنا بقاءها بصيغة المفرد. [المترجم]

(28) الكلمة المستخدمة مع «الريح»، ومع «نذروها» واحدة هي LUSTIG وقمنا بتنويعها وتعريبها مرة «مرحة» والمرة الأخرى «في خفة» مراعاة للتنوع الأجدر بالشعر في العربية الثرية بالترادف. [المترجم]

وساعة بساعة ستسمعينها،
ستسمعينها في كل ناحية.

***

في غفوة الليل،
بالكاد، إذا استطعت أن تغلقي عينيك،
فسوف تلاحقك عيوني،
حتى أعمق أعماق الحلم.

***

لديك جوهر ولؤلؤ،
(و) تملكين كل ما يشتهي بشر،
لديك أجمل العينين،
يا حبيبتي، فما الذي تبغين بعد؟!

***

على (ضفاف) عينيك الجميلتين (يا حبيبتي)،
جيش يخصّني بكامله،
قوامه أغنيات خالدات نظمتها،
فما الذي تبغين فوق ذلك؟!

***

هل بعينيك الجميلتين،
عذّبْتِني أشدّ ما يكون،
هل أوصلتني إلى الحضيض،
يا حبيبتي، فما الذي تبغين بعد؟!

(49)

الذي أحب في المرة الأولى،
حتى وإن لم يحالفه الحظ إله،
أما الذي أحب ثانيا،
ولم يحالفه الحظ، فإنه مغفل.

***

وأنا مغفل مماثل، لأنني أحبّ،
ثانيا بدون حب في المقابل،
الشمس، والقمر، والنجوم، تضحك،
فأشاركها ضحكا، وأموت.

(50)

أعطوني نصحا، ودروسا حسنه،
غمروني تشريفا،
قالوا، إن علي فقط أن أنتظر،
(لأنهم) أرادوا أن يحموني.

***

لكن مع كل حمايتهم (لي)،
لو كان بإمكاني أن أنفق جوعا.
أن يأتي رجل شهم،
رجل بارٌّ، يرعاني.

***

رجل شهم! يتكفل بطعامي،
وسأذكر ذلك دوما، لن أنساه له أبدا.

(لكن) يا للحسرة، ليس بإمكاني تقبيله،
لأني أنا شخصيا ذاك الرجل الشهم.

(51)

هذا اليافع حلو المعشر،
ليس بإمكان الواحد تكريمه:
فكثيرا ما يتحفني بمحارٍ،
ونبيذ الرين[29]، ومشروبِ الليكير.

***

رشيقا وضع التنورة وصغير السروال،
كما وضع الشارة أيضا برشاقة،
وبتلك الهيئة، يأتي كل صباح،
يسألني، إن كنت على أحسن حال.

***

يتحدث عن شهرتي الذائعة،
(و) عن ظُرفي، ونكاتي.
نشط هو وشغوف،
(ي)خدمني ويقدم منفعتي.

***

وهذا المساء، بصحبة ناس،
وبوجه يمتلئ حماسا،
أنشد في حضرة كل النسوة،
شعري المقدس.

***

(29) منسوبا إلى نهر الرين. [المترجم]

آه، يا للبهجة،
أن يوجد حتى الآن صبي مثله،
(و) في هذا العصر الآن، ويوميا،
يذهب كل الأخيار تباعا (ينقرضون).

(52)

رأيت في الحلم: أنني الرب اللطيف،
وأنني أجلس في السماء عاليا هناك،
وأن حولي الملائكة الصغار،
يمدحون شعري،

***

وأنني أطعم من فطائر، وحلوى[30]،
وأشرب أيضا،
كذلك،
دون ديون.

***

لكن الملل يحطّ عليّ،
فأتمنى لو اني كنت على الأرض،
وأني لست الرب المحبوب.
بل الشيطان ويمكنني أن أصبح إياه.

***

يا أيها الملاك السامق جبرائيل،
هل تحضر لي صديقي الغالي أوجين،

(30) Confect.

......

......

***

نشر الملاك جناحيه عندئذ،
وطار عاليا،
وحمله، وأحضره،
صديقي، هذا الولد.

***

أجل: شاب أنا يا أيها الإله الحبيب،
أتولى حكم الأرض!
ودوما كنت أناجيك، أقول،
بأن الحق معي، ولسوف يظل كذلك.

***

وإنني في كل يوم أصنع معجزة،
ترضيك،
وإنني لكي تقرّ عيناك،
أريد أن أسعد البسطاء في المدينة.

***

حجارة الرصف التي تكسو الشارع،
الآنّ عليها أن تتشّقق،
كي يحضن كل منها، محارة،
طازجة، وضيئة.

***

(فليهطل) مطرٌ من عصر الليمون عليها،
ونديّاً، كي يرويها،

ونبيذ الرّين، على بالوعات الشارع،
ينهمر، ويتدفق فيها.

***

كيف يثير البسطاء البهجة داخلهم؟
حين يروحون (إلى مائدة) كي يلتهموا،
والسادة من أهل المحكمة العليا؟
يعبّون الخمر من المزاريب.

***

كيف يثير الشعراء البهجة داخلهم؟
بمائدة تشبه مائدة الله.

***

صغار الضباط وطلاب المدرسة الحربية،
هم أذكى الناس، بظنّهمو،
أن لن تحدث معجزة في كل الأيام،
كما تحدث هذا اليوم.

(53)

في يوليو، أحسن شهر، كنت قد فارقتكم،
ثم عثرت عليكم بالصدفة ثانية في شهر يناير،
جلوسا كنتم في شدة الحرّ،
(و) الان تشعرون بالبرد، ببرد أكثر.

***

قريبا أهجركم ثانية، ثم أعود إليكم في يوم ما،
وحينذاك لن تكونوا دافئين، لن تكونوا باردين،

من فوق مدافنكم أصرخ،
والقلب، فؤادي، مسكين وعجوز.

(54)

مدفوعا من شفتين جميلتين، ومُنساقا،
بذراعين بديعين، تضمّاناَ وبقوة،
تمنيت بحقّ أن أبقى يوما آخر،
حين أتى الصهر، على صهوة فرسه.

***

تلك هي الدنيا طفلتي، شقاء دائم،
وداع أبدي، (و) فَصّامٌ ليس له رجعة[31]،
هل كان بوسع فؤادك ألا يمسك بوثاق فؤادي؟
هل كان بوسع عيونك ألا تمسك بزمامي وبشدة؟

(55)

سافرنا طوال الليل وحيدين،
بداخل عربة نقل بريد؛
أرحنا قلبينا،
ومزحنا وضحكنا.

***

بمجرد أن لاح الصبحُ،
يا صغيرتيَ، دُهشنا؛
(ف)الحب كان جالسا بيننا.

(31) الكلمة هي ewig بمعنى «أبدي» ورأينا تنوعها بمترادفات عربية أخرى مثل «دائم، لا يتصل، ليس له رجعه» إثراء للنص العربي. [المترجم]

(56)

(وحده) يعرف الرب، أين آوت،
العاهرة الجميلة الجسور[32] نفسها؛
هاربة في الجو الممطر،
(و) أنا أذرع كافة أرجاء المدينة عدواً.

***

هكذا كنت أركض، ما بين مقهى[33]،
ومقهى،
وعند كل نادلٍ فظٍّ غليظِ الطّبع،
عبثا كنت أحاول أن أتوارى داخل ثوبي.

***

هنا ألمحها في الشرفة،
تغمز وتقهقه صادحة،
هل لي يا امرأة[34] أن أعرف،
في أي فندق فخم أويت؟

(57)

كأحلام قاتمة تقف،
المنازل، صفا طويلا،

(32) كلمة toll متعددة المعنى حسـبما يضعها السـياق. ما بين ممسـوس ونـزق ورائع وبديع وجسور ومحنون. كأن نصف شخصا بالعربية بأنه مجنون قاصدين مدحه. كما يمكن أن يوصف بها كلب مسعور. [المترجم]
(33) Gasthof: مطعم ومقهى على النسق الشعبي التقليدي غالبا.
(34) في الأصل: يا فتاة.

(و) أنا ملفوف داخل طيّات المعطف،
تجاوزتها صامتا.

***

برج الكاتدرائية،
يعلن أن الساعة هي اثنا عشر؛
(و) بغنجها وقبلاتها،
حبيبتي الصغيرة منذ الآن في انتظاري.

***

القمر رفيقي،
يضيء طريقي في ودّ،
هنا على باب منزلها،
منشرحا عاليا، أنادي.

***

شكرا، صديقي المؤتمن القديم،
أن أضأت لي طريقي،
أريد أفارقك الآن،
الآن ستُغمر بالضوء بقية أرجاء العالم.

***

وإذا ما عثرت على عاشق،
في الوحدة يتشكى اللوعة،
واسِهِ، مثلما واسيتني،
في زمان مضى.

***

(58)

وهل أنت فعلا، أنثاي شرعا،
إذا تستحقين أن تُحسدي،
إذا أنت تتسلين بالفعل،
تحدبين في متعة وبهجات عيش.

***

وإن لمتني، أو غضبت عليّ أشد الغضب،
تحملت ذاك بصبر:
ولكن إذا لم يرُقْ لكً شعري،
يكون انفصالي عنك (وشيكا).

(59)

على صدرك الأبيض كالثلج،
أسندت رأسي،
لكي أتنصّت سرّا على،
ما يحرّك قلبك.

***

ينفخ البوق، الفرسان الزرق،
يمتطون صهوة الخيول داخلين للبوابة،
وغدا أريد أن أفارق،
تلك التي ملكت كل القلب.

***

وأنت تريدين هجري غدا،
وما زلت لليوم ملكي،
وبين ذراعيك الجميلتن،
أريد مباركتي مرتين!!

(60)

ينفخ الفرسان الزرق في البوق،
يمتطون صهوة الخيول داخلين للبوابة،
حيئذ أجيء يا حبيبتي، وأحضر،
باقة من الزهور لك.

***

كان ذلك اقتصادا متوحشا،
شعب كثير، ونكبة حرب،
لدرجة أن في قلبك الصغير،
حطّ كثير من اللاجئين.

(61)

في سنوات الشباب،
تكبّدت بعض الشقاء المرير،
من جمرة الحب،
لقد أصبح الخشب غالي السعر فعلا.

***

(35) في النص هكذا بالفرنسية، وترجمته: وأومن أن هذا حسن. [المترجم]

وأنا أريد أن أطفئ النار،
Ma foi! وهذا حسن[35].
تدبّري ذلك، يا جميلة صغيرة،
واذرفي الدموع البلهاء بعيدا،
وكذلك ضرر الحب الأبله.

***

إن دامت لك الحياة،
فلتتس الحب القديم،
Ma foi! في ذراعي.

(62)

هل تناصبينني أشد العداء بالفعل،
هل تحولتِ حقا تماما،
أريد أن أشكو للعالم كله،
أنك أنت أسأت معاملتي.

***

آهٍ أيتها الشفتان الجاحدتان،
قولاً، كيف استطعتما قالة السوء،
على رجل، بحب شديد،
قام بلثمكما، في أيام حلوة؟

(63)

آه، الأعين هي ثانية،
من حيّتني يوما ما بحنان زائد،

هي أيضا نفس شفاه،
جعلت لي طعم الدنياً حلوا في زمن كان.

***

أيضا هو ثانية ذات الصوت،
الذي أنصتّ إليه بشغف في الماضي،
وحدي فقط لم أعد كما كنت،
أنا رجعت متغيرا.

***

من الذراعين البيضاوين الجميلين،
ضُممت شديدا وبحبّ،
أرقَد الآن في قلبهما،
منقبض النفس ومكتئبا،

(64)

نادرا ما فهمتموني،
ونادرا ما فهمتكم كذاك،
فقط عندما وجدنا أنفسنا في الوحل
فهمنا على الفور بعض.

(65)

هكذا اشتكى الخصيان[36]؛
حين صدحت بصوتي،

(36) وصف الشاعر حاقديه وأعداءه بأنهم خصيان، يعني أنهم مزيفون؛ لأن الخصيان قديما كانوا يؤدون أدوار النساء في الأوبرا وفي الكنائس بأصوات شبه نسائية مستعارة؛ حين كان غناء المرأة ممنوعا في ظل حالة التطرف الديني التي عاشتها أوروبا تحت تأثير الكنيسة الكاثوليكية قبل عصر التنوير. [المترجم]

اشتكوا زاعمين بأنّي:
أغني بصوت غليظ أجش.

***

وبلطف رفع الكلّ،
الأصوات الناعمة،
تزغرد كالبللور،
فرنّت ناعمة جدا ونقيّة.

***

غنوا من أشواق الحب،
عن الحب، وعن رِيِّ الحب،
النسوة في الدمع سبحن،
بتأثير من متعة هذا الفن.

(66)

على أسوار(مدينة) سالامانكا[37]،
نسمات منعشة ولطيفة،
هنالك مع سيدتي[38] الخلاّبةِ،
أتجول في أمسية صيفية.

***

طوّقت الجسد الأهيف،
للحلوة بذراعي،

(37) هي مدينة سالامانكا الإسبانية التي تقع في وسط الشمال ضمن مقاطعة قشتالة وليون.
(38) Donna

وشعرت بأن الصدر (الناهد)،
يتماوج مختلجا في خيلاء[39].
أجل، وسوسة قلقة،
تسري متخلّلة شجر الزيزفون،
ونهير الطاحونة المظلم أسفل،
غمغم في غضب، أحلاما مرتعبة.

***

آه، يا سنيورا، إحساس ينبؤني؛
أن هنالك من يُبعدني يوما ما،
وعلى أسوار سالامانكا،
لن نتمشى ثانية بعد.

(67)

بجواري يسكن دون هنريكوس[40]،
رجل تعرفه الحسناوات.
نتجاور في الغرف،
فلا يفصل بينهما غير جدار غير سميك[41].

***

نسوة سلامانكا يتألقن،
إذا مرّ خلال شوارعها،

(39) Dort mit sel'gem Finger fuehl ich / Ihres Busen stoltz Wogen.
ترجمت هذه الفقرة بتصرف. [المترجم]
(40) Don Henriques
(41) في الأصل: رقيق Duenner Wand

بشخللة مهاميز الخيل، وبالذقن المتجعد،
مصحوبا بكلاب دوما.

***

في ساعة أمسية هادئة،
جلس وحيدا منفردا في المنزل،
بين يديه الجيتار،
وفي الروح الأحلام الحلوة.

***

مرتعشا أمسك بالأوتار،
وبدأ الرحلة بخياله[42]،
آخ، مثل صداع ينتاب المرء إذا ما أفرط في السكر يعذّبني،
صوت شخيره.

(68)

نادرا ما نرى بعضنا، وألاحظ في العينين وفي الصوت،
بأنك (حقا) تستلطفني؛
وبأن الأم، السيئة، تعارض ذلك.
أعتقد، بأنّا كنّا نتمنى أن نتعانق فورا.

***

مرة أخرى غدا أغادر هذه المدينة الصغيرة،
وأواصل مندفعا ركضي القديم؛
وعندئذ تكمن في النافذة فتاتي الشقراء،
وألقي لها عاليا بودٍّ تحياتي.

(42) في الأصل يتخيل phantasieren

(69)

فوق الجبال ارتقت الشمس،
قطعان الحملان ترِنُّ بعيدا (تثغو)؛
حبوبتي، حَمَلِي، شَمسي، وبهجتي،
أراك ثانية جدّ سعيدة.

***

أنظر للأعلى بملامح مُرتقبةْ -
وداعا، طفلتي، أهيم على وجهي مبتعدا عن هنا!
عبثا، لن تهتز ستارة؛
لا زالت راقدة، وتنام، وتحلم بي.

(70)

في الطريق إلى الصالة الكبيرة في السوق،
يقف أسدان مهولان،
يا سبع الساحة الكبيرة العنيد، آه،
كيف تمكّن أحد من ترويضك؟!

***

في الطريق إلى الساحة الكبيرة بالسوق،
عملاق هائل، منتصب؛
معه سيف، لا يتحرك،
فمن الرعب تحول حجرا.

***

في الطريق إلى الساحة الكبيرة،
ينتصب كنيس ضخم[43]،
منظمة الطلبة ومنظمة رجال الإقليم،
لديهم هنالك أماكن ليصلّوا فيها.

(43) لغة في «كنيسة» [المترجم]

(71)

شفقيا جثم مساء الصيف[44]،
على الغابة وعلى المرج الأخضر؛
القمر الذهبي، فوق السماء الزرقاء،
يتألق أسفل، منتعشا في رقة.

***

يصرّ على حافة الجدول جدجد،
ثم يتحرّك في الماء،
والذي يتجوّل يسمع (منه) خريرا،
ونفسا في (صميم) السكون.

***

وحدها في الجدول،
تحممت الجميلة «إلفا»،
الساعد والرقبة، أبيضان وبضّان،
(و) يأتلقان بضوء القمر.

(72)

على الطرق الغريبة يجثم الليل، -
القلب المريض والأعضاء المتعبة؛ -
آخ، ينثال، كما بَرَكَةٍ ساكنة،
أيها القمر الحلو، ضوؤك تحت هنا.

***

أيها القمر الحلو؛ بشعاعك،
أنت تفزِّع (ذاك) الرعب الليلي؛

(44) في النص بصيغة المضارع: يجثم.

تبدد آلامي،
وتزيد ندى العينين.

***

الموت هو الليلة الباردة،
والحياة هي اليوم القائظ.
تظلم الدنيا تماما، فتصيبني بالخمول،
النهار صيّرني متعبا.

***

فوق سريري تنهض شجرة،
يشدو فيها طائر ليل شاب،
يشدو من فرط الحب،
وأسمعه حتى في الحلم.

***

(73)

قل؛ أين حبيبتك الحلوة،
مَنّ ذات يوم تغنيتَ فيها غناء جميلا،
وكأن الشعلة ساحرة القوة،
رائعة نفذت في قلبك.

***

تلك الشعلات خبين،
وقلبي مقرور خابٍ،
وهذا الكتاب وعاء لحفظ،
رماد غرامي.

السديم[45]

هنا مايو بأضوائه الذهبية،
وبأنسام حرير وأريج بهار،
ودودا يغوي بالنوار الأبيض،
ويحيّي من ألف عين بنفسج،
ينشر البساط الأخضر المنمق،
المنسوج بشعاع الشمس وندى الصبح،
ينادي أبناء الإنسان المحبوبين.
الحمقى استجابوا لأول نداء،
الرجال يرتدون سراويل النانكين[46]،
وتنورات الأحد بأزرار مرايا ذهبية،
النسوة يلبسن ملابس بيضاء وبريئة،
اليُفَعُ يجعدون شاربهم الربيعي،
العذراوات تركن نهودهن تترجرج؛
شاعر المدينة علّق،
في الجيب ورقا، وقلم رصاص وعوينة[47]؛ - مبتهجا،
تحرك ذاك الحشد المتماوج (و) المتجعد، نحو البوابة،
عسكر في الخارج، فوق العشب الأخضر،
منبهرا، كيف نمت[48] (هذي) الأشجار بدأب،
يلعب مع الزهيرات الملونة الرقيقة،

---

(45) الكلمة الألمانية هي: Daemmerung ومعناها «الشـفق» لكننا من سياق القصيدة رأيناه يقصد فترة ما قبل أن يخيم الظلام على الكون - فتكون كلمة السديم هنا أنسب. [المترجم]
(46) النانيكين أو النانكينج: قماش قطني متين كان ينسج يدويا في الصين. [المترجم]
(47) نظارة بعين واحدة Lorgnett.
(48) في النص بصيغة المضارع: تنمو. [المترجم]

ويصغي لغناءِ الطيور الصغيرة المرحة الصغيرة،
ويهلل عاليا لخيمة السماء الزرقاء.
إليّ أتى مايو أيضا،
ثلاثة مرات دق على بابي، نادى: «أنا مايو،
أيها الحالم المتقع الوجه، تعال، أريد أقبّلك!»
أبقيت بابي موصدا، وصحت:
عبثا تغريني، أيها الضيف السيئ،
لقد نفذت ببصري داخلك، نفذت ببصري داخل،
بِنْية (هذا) الكون، ورأيت كثيرا جدا،
وعميقا جدا، أكثر مما هو مسموح أبصرت،
وعميقا جدا، هنالك خارج كل المسرات،
تحركت الأوجاع الأبدية داخل قلبي،
أُبصر من خلل القشر الصلب المتحجّر،
بيوت الناس، قلوب البشر،
وأشهد فيها الكذب، الغش، البؤس،
أقرأ فوق الوجوه، الخواطر،
كُثرَ المساوئ. في حمرة خجل العذراء،
أرى لذة خفية ترعش بالشهوة؛
فوق الرأس اليافع المزهر والمتحمس،
أبصر الطراطير ذات الشخاليل ملونة، تضحك،
والصور الوقحة وحدها والظلال السقيمة
أبصرها فوق هذه الأرض، ولا أعرف،
هل هي دار مجانين، أم هي مشفى؟!
أرى من خلال أساس الأرض العجوز؛

كما لو قد تغطت ببلور، وأرصد رعبا،
وأشهد هوّلا تدثّر طيّ اخضرار بهيج.
إن مايو يموت سُدى. أرى الميت؛
إنك ترقدين أسفل داخل تابوت ضيق،
الذراعان مطويتان، والعيون مفتّحة،
أبيضٌ هو الثوب، والوجه أبيض،
ديدان صفراء، تزحف من خلال الشفاه،
أرى، الابن مع خِدْنِهِ جالسا،
أسفل، يتسلى فوق مقبرة الأبِّ؛
العنادل حولهما تترنم بأغان ساخرة؛-
زهور المروج الرقيقة تضحك جذلانة؛-
الأب الميت يتحرك في القبر؛-
ويهزّ الأم الأرض الهرمة يوجعها.
أيتها الأرض المسكينة، آلامك أعرفها!
أرى الجمرة في صدرك تَحفرُ،
وشرايينك الألف أراها تنزف،
وأرى، كيف جروحك متهرئة تتفتّق،
يتفجّر لهب وحشي ودخان ودماء،
أرى أبناءك الجبابرة العنيدين.
فقسة بالغة القدم عجوز، تصعد من أغوار مظلمة لجهنم،
شعلات حمراء، في أيديهم تتأرجح،
وملاكي وحدي أراه هناك،
بخصلاته الشقراء، وأنفاسه الحلوة،
وبالحب الخالد حول الفم،

وبالبركة في العينين الزرقاوين –
وعفريت أسود كريه مقزز،
ينزعه من فوق الأرض، ملاكي الشاحب.
يغمز باستهزاء أطرافه النبيلة،
ويطوقه بقوة في ضمة رقيقة –
وتدوي صرخة هادرة في كافة أرجاء الكون،
تنهار الأعمدة،
السماء تتصدع، والأرض،
معا، والليل القديم يخيّم.

Ratcliff

أحضرني ربّ الأحلام إلى منظر طبيعي،
حيث الصفصاف يلوّح لي ويرحب،
بأذرعه الطويلة الخضراء، (و) حيث الزهور،
بعيون أخت ماهرة، ظللن يحدقن فيّ،

***

حيث يغرّد لي صوت الطيور المحبب،
حيث نباح الكلاب بدا لي مألوفا تماما،
وحيث الحناجر(49) ألقت إليّ تحيتها والوجوه،
كأني صديق قديم، وحيث الجميع كذلك فعلا،
بدا لي (كل ذلك) مدهشا تماما، (بدا) آية في الغرابة.

***

وقفت قبالة بيت ريفي، مزخرف،
طيّ فؤادي تحرك، في الرأس.

(49) في الأصل: الأصوات [المترجم]

هادئا كان، هادئا نفضت التراب،
عن ملابس الرحلة،
رنّ الجرس عميقا، وانفرج الباب.

***

هنالك كان رجال، نساء، وجوه كُثر معروفة.
همٌّ مقيم خيّم فوق الجمع،
وخوف خجول خفيٌّ، ذاهل بشكل غريب،
بملامح مشفقة، غالبا شاهدتني،
لأني ارتجفت بداخل روحي.

***

مثل هاجس شؤم مجهول،
تعرفتُ فورا على مارجريت العجوز،
تفحصت فيها بعمق، لكنها لم تتفوه بشيء،
«أين ماريا؟»، سألت، فلم تتكلم،
أمسكت في هدوء ذراعي، وقادتني.
داخل غرف متعددة؛ ومضيئة،
تخيّم أبهةٌ وبهاءُ ويسود سكون الموت،
أخيرا قادتني داخل غرفة بلون الشفق،
ثم أشارت بوجه تحوّل،
للشكل، الذي تربع فوق الأريكة.

***

«هل أنت ماريا؟» تساءلت، وفي داخل نفسي،
دُهشت، إذا ما كان ثباتا منيّ،
ما صاحب كلماتي. وصوت حجريّ فاقد للرنين[50]:
«هكذا يسميني الناس»،

(50) الكلمة الأصلية هي Metalllos. [المترجم]

وجع قاطع شقّني مخترقا فارتجفت لأنّ.
مثل ذلك الرجع، الأجوف البارد الذي كان –
قديما صوتا شديد العذوبة لماريّا،
وأيّة أنثى في ثوب ليلكي شاحب،
لبسته بإهمالٍ، الصدر تهدل،
(و) العينان زجاجيتان، وجامدة هي عضلات الوجنات.

***

الوجه الأبيض ذو الجلد المتهدل،
آخ، أنثى كهذه كانت ذات يوم جميلة،
ماريا الرقيقة كالزهرة، ماريا اللطيفة!
«هكذا كنتم حضرتكم[51] في رحلة» – نطقتها عالية الصوت،
بثقة باردة وحشية.

***

لم تعد تحدّق مغرما، أيها الصديق الأعز،
بصحة جيدة أنت، وعود صلب، وساق،
تكشّف عن قوة. ابتسامة حلوة،
ترعش حول الفم المصفرّ الشاحب،
مضطربا قال، نطق بذاك بعيدا عني:

***

«أخبرني شخص، أنك قد عُقِد قرانك؟»،
آخ! نعم، كانت تتكلم عالية الصوت بدون اكتراث وتضحك،
«عندك، قطعة خشب، كُسيت،

(51) لمخاطبته بضمير الجمع SIE كغرباء وليس بضمير المفرد كأحباء – متعمدة نظرا لما أحدثه البعد بينهما من تحفظ. [المترجم]

بالجلد، تسمي نفسها زوجا: لكنّ الخشب
هو الخشب!» وضحكت بنفور ضحكا أجوف.

***

ركض الخوف البارد في روحي،
وتملّكني الشك: أتلك هي،
الشفاه العفيفة (التي كانت) في رقة الزهر لماريا؟
لكنك ناهضة قمت، وفي استعجال مندفع،
ومن المقعد أمسكت،
بالشال الكشمير، وألقته، على رقبتها، علّقت نفسها في ذراعي،
للخارج جرّتني، متخللة باب البيت المفتوح،
وسحبتني قُدُما (متوغلة) في الحقل وفي الدغل، (و) في المرج.

***

حلّق قرص الشمس المتوهج بالحمرة،
منخفضا جدا، لونه الأرجواني شعّ على كل الأرجاء.
الأشجار، الأزهار، العاصفة،
التي على البعد تدفقت في سموٍّ،
«هل ترى العين الذهبية الكبيرة تسبح،
في أزرق الماء؟» هتفت ماريا متهورة،
«صمتا؛ أيها الكائن البائس!» صحتُ، وأبصرُت،

***

في غبش الضوء، نسيج ساحر،
صور الضباب ارتفعت من وسط الحقول صعدن،
محيطات أنفسهن بأذرع ناعمة بيضاء،
النّوار رقيقا رأى نفسه، بشوق،
كؤوس الزنابق تثنّين تأوّدن صحبة؛

***

من جميع الورود تألقت الشهوة مشتعلة،
القرنفل ودَّ لو يُضرم اشتعالا بهمسة،
في أريج مبارك كل الزهور تقلّبن،
جميعا وبصمت ذرفن دموعا بنشوة.
وهلّلن: عشقا! (و) عشقا! (و) عشقا.

***

الفراشات رفرفن، ترنمت الجعارين الذهبية الوهاجة بأغنيات
لطيفة صغيرة،
رياح المساء همسن، انتشى،
شجر البلوط، ذاب طائر الليل شدوا –
ووسط كل ذينك الهمس، النشوة، الغناء،
رغتْ بصوت صفيح، فاقد الرجع، بارد،
الأنثى الذابلة، التي علِقتْ في ذراعي.
«إنني أعرف تحويمك الليلي على القصر؛
الظل الطويل هو أحمقٌ جيدٌ،
ينحني ويشير إلى ما يريده صاحبه.

***

التنورة الزرقاء ملاك؛ ولكن الحمراء،
بالسيف اللامع، هي عدوك اللدود،
وأكثر من ذلك قولا غريبا،
ثرثرت به طويلا، ثم ارتمت متعبة،
معي على أريكة الطحالب،
تحت البلوطة العجوز.

***

منذ جلسنا سويا هنا، صامتين حزانى،
ورأينا أنفسنا، وكنا دوما أكثر حزنا،
هفهفت البلوطة فيما يشبه زفرة موتٍ،
صعّد طير الليل غناء عميق التوجّع،

***

حين انسلّت الأضواء الحمراء بين الأوراق،
أحاطت طلعة ماريا البيضاء بوهج،
وأغرت جمرا ليخرج من بين العينًين الجامدتين،
وبالصوت القديم، الحلو قالت:
«كيف عرفت أني جدّ تعيسة،
قرأت ذلك حديثا في أغنياتك المتوحشة»؟
في برودة الثلج اخترق قلبي، روّعني،
ما إذا كان جنوني، الذي رأى المستقبل،
قد انتفض مظلما في دماغي؟!
ومن الهلع استيقظت.

***

دونا كلارا

في الحديقة المسائية؛
تجولت ابنة الوالي[52]؛
بينما قرع «التمباني[53]» ودقات طبول احتفال؛

(52) كلمة ALKADEN هي ترجمة لكلمة إسبانية تعني الآمر أو الوالي الذي كان مخولا له سلطة تشريعية وتنفيذية في ولايته أو مقاطعته.
(53) طبول كبيرة موجودة في الأوركسترا السيمفوني مشدود عليها جلد ومحاطة بإطار نحاسي يعزف عليها العازف واقفا في أعلى الأوركسترا في آخره.

تدوي صاعدة هابطة في جنبات القصر.

***

الرقصات تصيبني بالملل؛
وكلمات الملق المعسولة؛
الفرسان المفرطون المتكلفون الرقة؛
حين يقارنونني بالشمس.

***

كل شيء يثقل عليّ؛
منذ رأيت؛ مع شعاع القمر
فارسا؛ يشدني صياحه؛
إلى النافذة كل مساء.

***

كيف كان يقف نحيلا جدا وجسورا؛
بينما العيون المتألقة مصوّبة؛
من على (صفحة) المحيا الشاحب النبيل؛
حقا يشبه القديس جورج.

***

هكذا فكرت دونا كلارا؛
ثم نظرت إلى الأرض:
ومع نظرتها،
كان الفارس الجميل المجهول يقف أمامها.

***

عاقدا ذراعيه؛ هامسا بلطف:
«تتجولين هاهنا حول المكان في ضوء القمر؛
بينما النسيم يتملق متوددا؛

فتحييه الورود كما في الحكايات.

***

كما في الحكايات تحيّي الورود
وتتألق كأنهن رسل الحب -
ولكن خبريني حبيبتي؛
لم يتضرج وجهك بالحمرة فجأة هكذا؟!

***

البعوض لدغني؛ يا حبيبي؛
والبعوض؛ في الصيف؛
شدّ ما أمقتهم؛ كما لو كانوا
مغاربة أو يهودا عفنين ذوي أنوف طويلة.

***

دعك من البعوض واليهود؛
قال الفارس؛ ودودا ملاطفا.
ومن شجر اللوز
تساقطت ألف زهرة بيضاء.

***

ألف زهرة بيضاء
نشرت أريجها -
ولكن خبريني؛ حبيبتي
إن كان قلبك ميالا تماما إليّ؟

***

أجل يا حبيبي؛ أحبك.
قسما بالمسيح المخلص؛

الذي قديما قتله اليهود الأشرار
الخبثاء الملاعين.

***

دعك من المخلص ومن اليهود؛
قالها الفارس ودودا وملاطفا؛
وعلى البعد تمايلت زنابق
رائعة بيضاء وضوء يتدفق من كل اتجاه.

***

ينظرون للنجوم في الأعالي.
لكن خبريني؛ حبيبتي؛
ألم تحلفي كذبا؟

***

الكذب ليس ديدني؛ حبيبي؛
مثلما ليس في قلبي قطرة من؛
دم المغاربة
أو دم اليهود القذرين.

***

دعك من المغاربة ومن اليهود؛
قال الفارس؛ ودودا ملاطفا؛
وإلى عريشة آسٍ؛
قاد ابنة الوالي.

***

بشباك الحب الناعمة؛
طوّقها خفية؛

كلمات قصار؛ قبلات طويلة؛
وفاضت القلوب.

***

وبأغنية عروس حلوة تذوب رقّة؛
شدا طير ساحر؛
مثلما تتقافز ديدان النار على الأرض؛
نحو شعلة الرقص.

***

في العريشة سوف يكون الأمر أكثر هدوءا؛
ويصمت المخبوء،
لا غير أشجار الآس الماهرة؛
وتردد أنفاس الزهور يسمع المرء، كأنها مختلسة.

***

غير أن قرع الطبول ودقات التمباني؛
دوّت فجأة من داخل القصر؛
فأفاقت كلارا؛
وسحبت نفسها من بين ذراعي الفارس.

***

أصغ! إنهم ينادونني يا حبيبي؛
لكن قبل أن ننفصل؛ ينبغي عليك؛
أن تذكر لي اسمك؛
الذي أخفيته عني طويلا.

***

تبسّم الفارس جذلا؛
لثم أنامل حبيبته؛

قبّل الشفاه والجبين؛
ثم أخيرا تفوه بالكلمات الطويلة:

***

أنا سنيورا؛ حبيب سيادتكم؛
ابن المجد؛
كبير علماء اليهود في سراجوس؛
الحاخام إسرائيل.

***

المنصور
(1)

في كاتدرائية قرطبة،
ترتفع ثلاثمائة من أعمدة.
ثلاثمائة من أعمدة هائلة،
تحمل القبة الشامخة!

***

وفوق الأعمدة وعلى القبة والجدران
تتمدد آيات القرآن العربي
متسحِّبة من أعلى حتى أسفل
متعانقة مزهرة وحكيمة.

***

قديما شيد هذا البيت ملوك المغرب،
تمجيدا لله،
لكن ألاعيب التاريخ المظلمة،
جعلت كثيرا يتغير!

***

على المئذنة، حيث كان المؤذن
يؤذن للصلاة،
تطنّ الأجراس النصرانية،
في ترنيم أسيان.

***

(و) على الدرج، حيث كان المؤمنون
يترنمون بكلمات النبي،
يعرض الكهنة صلع الرؤوس الآن،
قداس معجزاتهم المبتذلة.

***

أمام الدمى المصبوغة بالألوان؛
يدورون ويتثنّون،
هذا يثغو، ذاك يبخّر ويصلصل،
فيما تشتعل الشموع البلهاء!

***

في كاتدرائية قرطبة
وقف المنصور بن عبد الله؛
في صمت يتأمل تلك الأعمدة؛
وبالكلمات الخرساء يغمغم:
آه؛ أيتها الأعمدة؛ يا من أنت هائلة وقوية؛
قديما تزينتَ لمجد الله[54]؛
(لكنّ) الآن عليكم أن تكونوا خداما تبعا،
للنصرانية المقيتة!

***

(54) هكذا في الأصل « الله ALLAH [المترجم]

لقد استسلمتم في كل الأزمنة،
وحملتم الوزر[55] بصبر:
آه، حيث الأكثر رشدا للأضعف،
أن يرضى.

***

وحنى المنصور بن عبد الله،
جبينه البهيّ،
على جرن المعمودية المزخرف،
في كاتدرائية قرطبة.

(2)

مندفعا خرج من الكاتدرائية،
وانطلق على صهوة فرسه،
حتى أن الخصلات المبتلة،
مع ريش القبعة تطايرن بفعل الريح.

***

في الطريق إلى ألكوليا[56]
وعلى امتداد جوادا ليكيفير[57]
حيث اللوزات البيضاء،
والبرتقال الذهبي الفواح هنالك يزهر.

***

(55) الوزر مفرد أوزار بمعنى: أثقال «وقد فضلنا استخدامها لبلاغتها واستيفائها المعنى الذي أراده الشاعر من الكلمة الألمانية die Last . جاء في الآية 87 من سورة طه «ولكنّا حُملنا أوزارا من زينة القوم».
(56) حصن ألكوليا.
(57) نهر.

ينطلق الفارس المرح بعيدا للصيد،
يُصفّرُ ويغني، يضحك باستمتاع،
ويشاركه الطير،
وماء النهر يردد ترجيعه.

***

في حصن ألكوليا،
تقيم كلارا دي ألفاريز،
وفي نافارا[58] يقاتل والدها،
فيما هي في حريتها تستمتع وتعريد.

***

سمع المنصور على بعدٍ،
أبواقا تدوي مع دق طبول،
ورأى أضواء القصر،
تلألأ من بين ظلال الأغصان.

***

في حصن ألكوليا،
ترقص اثنتا عشرة امرأة في زينتهن،
كما يرقص فرسان مثلهن في زينتهم أيضا،
إلا أن المنصور يجيد الرقص كأجمل ما يمكن.

***

وكما يتأرجح طربا، في نزوة مرحٍ،
فهو يرفرف في أرجاء البهو،

(58) حصن نافارا.

ويعرف كيف يقولِ لكل النسوة،
كلمات مغازلة حلوة.

***

يدا إيزابيلا الرائعتان،
لثمهما في عجلٍ، ثم انتقل فغيّر موضعه؛-
الآن قبالة إلفيرِين يجلسُ،
مجتليا طلعتها في بهجة.

***

ضاحكا يسأل ليونورا،
إن كان اليوم يروق لها؟
مظهرا الصلبان الذهبية،
التي اكتشفها مودعة في المعطف.

***

يقول لكل امرأة:
إنه يحملها في قلبه؛
و«أنني كمسيحي» يقسم،
في ذات المساء ثلاثين مرة.

(3)

في حصن الكوليا الآن،
تلاشى المرح، وغاب الصوت،
رحل السادة، غادرت النسوة،
والأضواء خبت.

***

دون كلارا والمنصور؛
وحدهما ظلَّا في البهو،
وآخر مصباح بقي وحيدا ينثر،
فوقهما شاحب ضوئه.

***

على مقعد جلست السيدة،
وعلى كرسي ليس له ظهر جلس الفارس،
ورأسه الذي من إرهاق أغفى،
يرتاح على ركبتي المحبوبة.

***

زيت الورد، من قنينة ذهب،
صبّته السيدة، على خصلاتٍ المنصور البُنّيَّة،
متأملة في هَمٍّ،
فتنهد من أعماق القلب.

***

قبلة حلوة من فمها الناعم،
وببال مشغول طبعتها السيدة،
على خصلات المنصور البنية.
فتلبّد غيم محزون فوق جبينه.

***

فيضان دموع، من عينين منوّرتين،
ذرفته السيدة، على خصلات المنصور البنية -
في فكر مهموم،
فارتجف محيط الشفتين.

***

يحلم: أنه ثانية ينهضُ،
محنىّ الرأس ومنثال الدمع،
قبالة كاتدرائية قرطبة،
أصواتا مقبضة كُثرا يسمع.

***

كل الأعمدة العالية العملاقة،
سمعته يغمغم مستاء:
أطول من ذلك لن تحملها؛
وأنها ترتعش وتتقلقل.

***

بشكل وحشي يتصدّعن معا،
تمتقع وجوه الشعب، وجوه القسس،
القبةُ تتساقط فوقهمُ محدثة قرقعة،
فيما الآلهة[59] النصرانية متذمّرة تجأر.

***

رحلة الحج إلى كيفلار (1)

الأم وقفت في النافذة،
وفي الفراش رقد الابن،
«ألا تستيقظ يا فيلهلم»،
وترى الموكب؟»

***

(59) Die Christengoetter الآلهة المسيحية أو النصرانية.. هكذا كتبها الشاعر - وهكذا وردت في كل الطبعات الألمانية وفي جميع الترجمات للغات الأوروبية - تعبيرا عن رأيه في الكهنوت المسيحي دون أن تتعرض لأي تعديل أو حذف. [المترجم]

«مريض أنا جدا، يا أمي،
لدرجة أني لا أسمع أو أبصر؛
أفكر في الميتة جريتشن،
لأن قلبيَ يوجعني»–

***

استيقظ، نريد أن نذهب إلى كيفلار،
«خذ إنجيلا وباقة ورد؛
أم يسوع تشفي،
قلبك كاملا من مرضه».

***

أعلام الكنيسة ترفرف،
وتغنّي في نغم كنسي،
تلك هي كولن على نهر الرّين،
تذهب حيث يسير الموكب.

***

الوالدة تتّبع الجمع الحاشد،
وتقود الابن،
معا ينشدان ضمن الجوقة:
يا مريم؛ فليتقدس اسمك.

(2)

في أحسن ثوب تملكه:
ذهبت أم يسوع لكنيسة كيفلار،
فلديها اليوم كثير يتطلّب أن يُنجز،

والمرضى كثُرٌ يأتون اليوم.

***

يأتيك المرضى،
بهبة الضحية؛
أعضاء صنعت من شمع،
أقدام كثر وأياد شمعية،

***

والذي يتبرع بيدٍ من شمع،
شُفي له جرح اليًد؛
والذي يتبرع بقدم من شمع،
تشفى قدمه.

***

إلى كيفلار ذهب البعض على عكازات،
وهم الآن يرقصون على الحبل،
كثيرون الآن يعزفون الكمان،
ممن لم يشف لهم إصبع.

***

الأم أخذت شمعة ضوء،
صنعت منها قلبا،
«أعطه أم يسوع،
وستشفي لك وجًعك».

***

أخذ الابن القلب الشمعي وهو يتنهد،
ومتنهدا ذهب إلى الصورة المقدسة،

من العينين يسيل الدمع ويتدفق،
والكلمة تنبع من عمق القلب:

***

«أنت يا عالية العطاء، hoch gebenedeite
يا خادمة الإله الطاهرة،
ويا مليكة السماء،
يا من إليك تُشتكى بليّتي:

***

مع والدتي عشت،
في مدينة كولن،
المدينة التي بها مئات كثيرة،
من الكنائس الصغيرة والكنائس الكبيرة.

***

«سكنت جانبنا جريتشن،
لكنها ميتة حاليا،
يا مريم؛ قلبا من الشمع سأحضره لك (هبة مني)،
فاشف لي جرح قلبي.

***

اشف لي قلبي العليل،
لأنني مبكرا ومتأخرا أيضا،
أريد بأصدق إيمان أن أتعبد وأغني،
لك المجد يا مريم»!

***

الولد المروض ووالدته،
من ناما في حجيرة صغيرة،

مُذ جاءت أم يسوع،
وانسلّت داخلة بهدوءٍ تام.

***

مالت فوق المعتّل،
وحطّت يدها،
ناعمة فوق القلب،
ثم ابتسمت في لطف واحتجبت.

***

الأم رأت ذلك تامّا في الحلم،
وأكثر منه رأته كذلك؛
من غفوته قمتِ بإيقاظه،
نبحت الكلاب بأعلى صوت.

***

منذ تمدد ولدك منطرحا،
وتوفي؛
يتراقص فوق الوجنات الشاحبة،
ضياء الفجر الشفقي المتورد.

***

طوت الأم يديها،
صارت، لا تعرف كيف؛
بتلك القدرة غنّت ناعمة:
المجد لك يا مريم،
المجد لك!

قصائد صغيرة من H

يا زنبقة غرامي أنت؛
تقفين أمام الجدول حالمة؛
تضرب نظراتك في العمق وأنت حزينة؛
هامسة بالآهة والأواه!

***

امض بعيدا في خيلائك؛
فأنا أعرف يا زائف؛
أن ابنة عمي الوردة؛
قد حظيت منك بقلب مغشوش!

***

سوناتا ساخرة

كيف يودعني الفقر قريبا؟
وأنا من أتقنت الفن؛
وزينت الجدران المزهوة لكنائس وقصور؛
بالصور الرائعة الألوان.

***

كيف تسيل المِنح الذهبية بين يدي؛
أعرف كيف أُصفر في الناي، وأعزف بالقيثارة وأداعب بأناملي مفاتيح المعزف[60]؛
وأؤلف أنغاما مرهفة بالغة الرقة،
حتى تلتهب الأيدي بالتصفيق رجالا ونساء.

***

(60)البيانو: في الأصل.

آه، حقا لا يتبسم عبد المال لفقرائي أبدا؛
ذاك لأني وحدي أسفا؛ أسفا أحترفك؛
يا فن ويا شعر برغم الفقر المدقع.

***

وآه؛ حين أرى الكاسات الممتلئة بالشمبانيا؛
يتجرعها الباقون على شرف الرب؛
عليّ إذن أن أظمأ – أو أن أطلب قرضا.

أغنيات من ×××××
(1)

تخضر الغابات وتخضر حقول؛
القبرة تزغرد في الجو؛
الربيع أهلّ
بعطر وبألوان وبضي.

***

غناء العنادل رقّق لي؛
شعور الشتاء المجمد،
ومن داخل القلب يصعد لي؛
لحن شكوى حزين.

***

القبرة تغرد رائعة:
وأنت يا صغيرتي تغنين لحنا كئيبا حزينا؟
إنها أغنية صغيرة، يا صغيرة؛
ظللت أرددها من سنين طويلة.

***

في المروج الخضر أشدو بها؛
(و) الفؤاد من الغم يشكو:
وأغنيتي الصغيرة تلك؛
(طالما) سمعتها جدتك.

(2)

في جمود يقف؛ كما جذع شجرة؛
في الحر والريح والزمهرير؛
مغروسة قدماه في الأرض؛
والذراعان مرفوعتان لأعلى.

***

هكذا تضني «باجيراتا[61]» نفسها من زمان طويل؛
و«براماه[62]» يبغي نهاية وجعه؛
إنه يدع المسيلة من؛
أعالي السماوات تهمي.

***

لكنني، حبيبتي، دون جدوى؛
أعذب نفسي؛
دونما قطرة من سماوات عينيك؛
تهمي عليّ.

(61) BAGIRATHA:
(62) BRAMAH:

(3)

أجل، أنت ميتة، دون أن تعرفي؛
ما حل ضوء عينيك،
ثغرك الأرجواني شاحب،
أنت ميتة، ميتة أنت يا طفلتي الميتة.

***

في ليلة صيف موحشة
أحضرتك للقبر بنفسي؛
العنادل كانت تغني نواحا؛
والنجوم إلى الجثة قد صاحبتنا.

***

يائسا أقف على قبرك،
أمسح دمعي وأنا أنتحب،
لو أنني هنالك التزمت الصمت،
ما كان لقلبي أن يتحطم.

(4)

حبا وكرها، كرها وحبا؛
كل ذلك عانيته،
لكن لم يعلق بي شيء منه،
لأني ظللت كما أنا نفسي.

(5)

إنني أحبك يا جروة[63]؛
هو معروف لك بالفعل.
(و) عندما أعلفك بالسكر[64]
تلعقين يدي.

***

تريدين أن تصبحي مجرد كلب،
وأن تختفي فلا تظهري ثانيا،
كل البقية من أصدقائي،
يراؤون أكثر مما يجب.

(6)

نهارا وليلا أدبّج شعرا،
ولم أحقق شيئا،
سبحت في توافق،
وما وصلت إلى شيء.

(7)

في الخارج تتسحب ندف ثلوج بيضاء،
في وسط الليل، العاصفة تدوّي،
هنا في الحجيرة الجو جافٌ،
دفيء، وحيد وفي ألفة هادئة.
أجلس فوق المقعد منشغل الفكر،

(63) في الأصل تصغير لنوع من الكلاب أفطس الأنف: Moebchen.
(64) FUETTERN فـي الأصـل: يعلف وهو الفعل المسـتعمل لإطعام الحيـوان ويقصد به التحقير أو السخرية أو التدليل أو المبالغة.

أمام المدفأة وأتأمل طقطقة النار،
ماء القدر من الغليان يئز،
يصدر أنغاما تمتد وتتلاشى.

***

هريرة تقعي بجانبي،
تدّفئ مخلبها الصغير فوق الجمر،
اللهب يحلق، ينسج،
ويبث بداخلي شجاعة عجيبة.

***

نساء جميلات يتبسمن بودّ؛
ويغمزن بالعين سرا لذيذا؛
وفي وسط ذلك يقفز؛
هاريكان عدو؛ مرح.

***

على البعد ترسل آلهة مرمية تحياتها؛
كما الحلم بجانبها زهرات ساحرة؛
تنهض، أوراقها؛
في ضوء القمر ترفرف.

***

يأتي مترنحا سابحا؛
والبعض يبدون مثل قصر عجائبي عتيق؛
قادمين من الخلف، فرسان يتلألأون؛
كما المهرة النادرة.

***

وكل ذاك يمضي عابرا؛
كظل خاطف، متسرع، عجول -
آه! هكذا القدر يغلي؛
وتعو القطيطة المبللة.

(8)
شيء لابن العم الأعرج

عيون لا تحدق في البعد،
ولا تصلح أيضا للحب،
ولكن مقززة جدا تضغط،
هي عيون لابن العم كمثل عيون دجاجة.

***

عندما تتكسر قلوب شابة،
تضحك النجوم لذلك،
تضحك وتثرثر،
في الأعلى، من البعد الأزرق.

***

الفقراء يحبون،
أنفسهم من أعماق الروح،
وعليهم إذن أن يغتموا،
وأن يعانوا حتى الموت.

***

لم نشعر أبدا،
أن الحب المهلك جدا،

يردي الفقراء إلى أسفل،
ولذا فنحن أيضا خالدون.

***

آه يا آنستي المحترمة؛ اسمحي لي؛
أنا المدلل ابن ربات الفن؛
أن يستريح رأسي المملوء بالغناء؛
فوق صدرك الذي مثل بحيرة البجع.
سيدي؛ كيف تجرؤ؛
أن تكلمني هكذا وسط مجتمع؟!

***

هل أوجعت شفتيّ بالقبل؛
قبليها مرة ثانية إذن واشفها؛
وعندما يأتي المساء ثم لا تكوني انتهيت؛
فلا عليك أن تتعجلي.
لديك ليلة بطولها؛
أيتها الأحب لقلبي!
ففي طاقة المرء في ليلة طويلة كهذه؛
أن يمارس التقبيل وأن يغتبط.

***

بمجرد أن حضنتني وضغط في عذوبة عليّ؛
حلقت روحي طائرة في السماء؛
وقد تركتها تطير؛ بينما؛
أخذت أرشف الرحيق من شفاهها.

***

سماويا كان ذلك؛ عندما كنت أوقظ؛
رغبتي الخاطئة؛
لكنها عندما لم تطعني؛
شعرت بالسرور غامرا.

***

يا طفلتي الحلوة لا تلوميني؛
ولا تحيّيني تحت الزيزفونة الكبيرة؛
وعندما نكون وحدنا بالبيت؛
يصبح كل شيء بيننا ممكنا.

***

سيدة الأعمال الحلوة؛
قد تم حجز المنزل والفناء؛
وتم ملء الحظيرة والسرداب بالمؤونة؛
والحقل تم حرثه كذاك.

***

كل زاوية في الحديقة
تم تنظيفها وغسلت؛
والقش الذي تم تقصيفه؛
سوف يغدو فراشا لنا.
أجل؛ قلبك والشفتان؛
يا سيدة جميلة؛ يرقدان كأرض بور؛
وسريرك لا يستخدم منه سوى نصفه.

***

من فوق السحاب يستقر القمر؛
على شجرة لارنج ضخمة؛
ويشع على البحر الرمادي؛
شرائط واسعة ذات بريق ذهبي.
وحيد أتجول بحذاء الشاطئ؛
حيث الأمواج البيضاء تكسّر؛
وكثيرا ما أسمع لفظا حلوا؛
يتحدث في الماء.
آه؛ هذي الليلة ما أطولها؛
وفؤادي ما عاد يطيق الصمت؛
حورية بحر رائعة تطلع؛
ترقص وتغني في عرض ساحر.
خذي رأسي في حجرك؛
فلقد سلمت الجسد وأسلمت الروح؛
غنوا لي ميّتا، وكفنوني في القلب؛
وقبلوني من عمق قلب الحياة.

***

طقس وحشي! عواصف غضبى؛
تريد أن تحطم السفينة المسكينة؛
آه؛ هذي الريح من يشكمها؛
وهذه الأمواج التي بلا سيد من يوقفها؟!

***

الفتور والخمول؛
اللذان بروحك؛

لم يتفقا وخشونة حبي المتوحش؛
تلك التي تشق لها في الصخور طريقا.
هكذا أنت عشقت الشوارع؛
في الحب؛ وأنا شهدك؛
تمشين معلقة بذراع الزوج؛
امرأة ماهرة حامل.
أي كذب؛ في القبلات!
أي بهجة في ذاك المنظر؛
آه؛ ما أحلى الخداع؛
ولكن الأحلى أن تصبح مخدوعا.
حبيبتي؛ كيف تحمين نفسك؛
أعرف بالفعل؛ ماذا به تسمحين؛
وأرغب أن أصدق ما تحلفين؛
وأرغب أن أقسم؛ على ما تؤمنين.

***



المترجم في سطور

أ. د. أسامة أبوطالب

- حاصل على جائزة التميز في النقد من اتحاد كتاب مصر عام 2015م.
- بكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة عين شمس.
- بكالوريوس في الدراما والنقد وماجستير من المعهد العالي للفنون المسرحية.
- دكتوراه في الدراما والنقد «أنثروبولوجيا المسرح» من جامعة فيينا.
- عمل وكيلا لوزارة الثقافة المصرية كرئيس للمركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية. ورئيسا للبيت الفني للمسرح ومستشارا للثقافة والإعلام بمجلس الشعب عام 2005م، ورئيسا لقسم الدراما والنقد بمعهد الفنون المسرحية بالكويت، ثم أستاذا متفرغا بأكاديمية الفنون. - له مؤلفات ومترجمات عن الألمانية منها: البطل التراجيدي مسلما. مغامرة المسرح. المسرح الشعري الحديث. مسرح ما بعد الحداثة. نظرية المسرح المضاد. نصوص من الدراما الألمانية المعاصرة. إشكالية الإبداع والتدين. هيرمنيوتيكا المسرح. تهافت المسرحيين. المسرح والتمرد. مربع التوتر الدائم تهميش الثقافة وثقافة المهشمين.
- نشرت له دراسات في مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت؛ كما كتب أعمالا للمسرح وللسينما والتلفزيون.

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون و القلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة	تأليف : جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين و أساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافللي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف: أرتور شنيتسلر
342	آرنجندن والحارس الليلي	تأليف: إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: تنغ - هسنغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف: إيريش كستنر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف: سليمان جيفو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر

ما صدر من هذه السلسلة

348	حكايات وخرافات أفريقية (2) الأدغال والسهول العشبية تحكي	تأليف: سليمان جيغو ديوب
349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	مسرحيتا: -1 محنة الأخ جيرو -2 تحوُّل الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «آنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيتا: -1 صناعة تاريخ - 2 ترجمات	تأليف: برايان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتتزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيتا: -1 تلاميذ الخوف -2 الغزاة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام ساروريان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصُّـورة (مسرحية)	تأليف: سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجي ماليشكا ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروجيك
364	سبع نساء... سبع قصص	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	تأليف: نويل كاورد
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: رُوبين دايفيد غونساليس غاليغو
367	مسرحيتا: -1 سهرة في المقهى -2 موت ممثل مشهور	تأليف: تيان هان
368	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: مايكل هلمان
369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجي شانيافسكي

ما صدر من هذه السلسلة

ما صدر من هذه السلسلة

قسيمة الاشتراك

البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقداً/ شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

أسماء وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ – الحرة – قسيمة 34 – الكويت – الشويخ – ص ب 64185 – الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	+971 242629273	+971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية – الرياض – حي المؤتمرات – طريق مكة المكرمة – ص ب 62116، الرمز البريدي 11585	+966 (01) 2128000	+966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية – دمشق – البرامكة	+963 112127797	+963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية – القاهرة – 6 شارع الصحافة – ص ب 372	+202 25782700-25782632	+202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب – الرباط – ص ب 13683 – زنقه سجلماسه – بلفدير – ص ب 13008	+212 522249200	+ 212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس – ص ب 719 – 3 نهج المغرب – تونس 1000	+216 71322499	+216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان – بيروت – خندق الغميق – شارع سعد – بناية فواز	+961 1666314/5 01 653259	+ 961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية – صنعاء	+967 2/3201901	+ 967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان – تلال العلي – بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	+962 65300170 - 65358855	+ 962 65337733
البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	ـــــ	+973 17 617733	ـــــ
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص ب 473 – مسقط – الرمز البريدي 130 – العذيبة – سلطنة عُمان	+968 24492936	+24493200968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر – الدوحة – ص ب 3488	+974 4557809/10/11	+ 974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله – عين مصباح – ص ب 1314	+970 22980800	+ 970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان – الخرطوم – الرياض – ش المشتل – العقار رقم 52 – مربع 11	+2491 83242702	+ 2491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	+213 (0) 31909590	+ 213 (0) 31909328
العراق	شركة الظلال للنشر والتوزيع	ـــــ	+964700776512 780662019 +964	ـــــ
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 – 3258	+ 1718 4725488	+1718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	+ 44 2087499828 + 44208 7423344	+44208 7493904
ليبيا	شركة الناشر الليبي	ـــــ	+218 217297779	ـــــ


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب



هاينْرِيش هاينه

شاعر ألماني من مواليد 1797.
ولد في مدينة دوسلدورف
الألمانية
وأمضى الـ 25 سنة الأخيرة
من حياته في باريس، إلى
أن توفي في العام 1856.
صدرت لهاينه، وهو الباحث
والصحافي والناقد الأدبي
المرموق، مجموعة دواوين
كان «ديوان الإياب» من أهمها.
وعلى رغم أن شعر
هاينه اتسم بالفطنة والحس
الساخر، فقد اشتهر هاينه
بقصائده الغنائية، التي تلقفها
كبار الملحنين الألمان، وفي
مقدمتهم كل من شومان
وشوبرت.
اعتنق هاينه مبادئ حركة شباب
ألمانيا، وتسببت آراؤه السياسية
الراديكالية في منع السلطات
الألمانية كثيرا من أعماله.

الإياب

عبْر هذا الإصدار، يقدم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ترجمة أدبيــة لديوان الإياب Heimkehr Die، للشــاعر الألماني الكبير هاينْرِيش هاينــه Heinrich Heine (1797-1856)، وذلــك لمــا يتمتــع بــه هذا الديــوان من قيمة فنيــة كبيرة، ولما تتســم به حياة هذا الشــاعر من ثراء وصدق تجربة.

وعلى الرغم من كونها ترجمة مضنية، فقد استشــعر المجلس الوطني حاجة ملحة إلى التعريف بشــعر هاينْرِيش هاينه، الذي لم ينج العالم من إغراء وغواية شــعره الرومانســي، ومن ضمنهم مترجم هذا الديوان، الذي عشــق هاينه في لغته الأم، وتملكه عشقه – من هذا المنظور – وسيطرت عليــه الرغبة في نقل إبداعاته، كرحلة ثقافية ممتعة إلى العربية، من قناة سلسلة «إبداعات عالمية».

كان عمالقــة النقــد الأدبي، وفــي مقدمتهم الناقــد الإنجليزي الكبير ماثيو آرنولــد Matthew Arnold (1822-1888)، قد وضعوا عبقرية هاينه في صف واحد مع عبقرية شاعر العصر اليوناني سوفوكليس، وذلك بفضل شــعر هاينه الذي يجرحنا بأحزانه ومفارقاته. كما قارنوا شــعره – وفق مســاقات تكوينية مماثلة – مع عبقرية شكســبير في تجليات عصره الإليزابيثــي، ومع عبقرية دوستويفســكي في بعث وإحياء روســيا؛ ليكون تجليا لعبقرية ألمانيا في عصر جوته وفاجنر وماركس ونيتشه.

ولكــي تتضــح الرؤية أكثــر فأكثر بشــأن أدب هاينه، فقد بــادر المجلس الوطنــي للثقافة والفنون والآداب إلى ترجمــة فصل مرفق من كتاب ماثيو آرنولــد النقدي وعنوانه «هاينه»، مترجما عــن الإنجليزية، باعتباره من أهم الدراسات التي كتبت عن الشاعر الألماني هاينْرِيش هاينه.

ISBN: 978-99906-0-471-9
رقم الإيداع: 2015/1054

